



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

مقرر: فقه السيرة النبوية

أ. إقبال محمد باصم

بسم الله الرحمن الرحيم

مفردات المقرر الدراسي:

قائمة الموضوعات
مدخل في التعريف بفقہ السيرة وأهميته في الدعوة إلى الله.
الدروس المستفادة من مرحلة الإعداد للبعثة.
الدروس المستفادة من مرحلة بدء الوحي وسرية الدعوة.
الدروس المستفادة من الهجرة إلى الطائف.
الدروس المستفادة من الإسراء والمعراج.
الدروس المستفادة من الهجرة النبوية إلى المدينة.
المجتمع المدني وحفاوته بالرسول والدعوة.
بناء المسجد والمؤاخاة دروس وعبر.
المعاهدات مع اليهود وغيرهم دروس وعبر.
تحويل القبلة دروس وعبر.
فقه الغزوات دروس وعبر.
موقف اليهود والمنافقين من الدعوة وتعامل الرسول معهم.
عام الوفود وحجة الوداع دروس وعبر.
مرض النبي ﷺ ووفاته دروس وعبر.

المراجع الرئيسة:

- السيرة النبوية، لابن هشام.

- دلائل النبوة، للبيهقي.

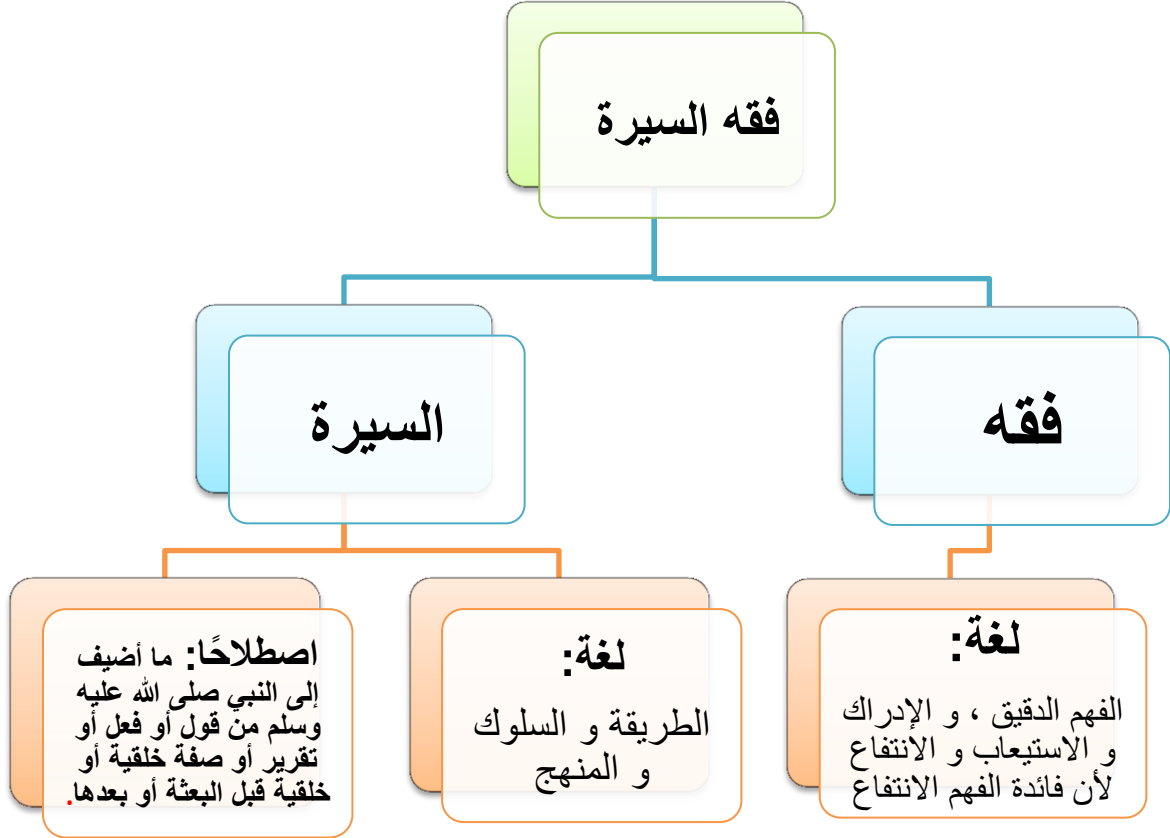
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ للقاضي عياض .
- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم الجوزية.
- الرحيق المختوم، للشيخ المباركفوري.
- السيرة النبوية، د. أكرم ضياء العمري.
- فقه السيرة، الشيخ محمد الغزالي
- فقه السيرة، البوطي.
- فقه السيرة، منير الغضبان.
- السيرة النبوية دروس وعبر د. مصطفى السباعي.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه والتابعين. أما بعد، فإن هذا المقرر يتحدث عن سيرة أفضل خلق الله محمد - صلى الله عليه وسلم - فسيرته أعذب السير، كلها حكم و درر، و نحن في طريقنا الدعوي يتحتم علينا دراسة هذه السيرة العطرة، لتكون خارطتنا في المسير، ويكون أبو القاسم - صلى الله عليه وسلم - قدوتنا الأولى، و لهذا سنشرع بداية في بيان أهمية دراسة فقه السيرة :

أهمية دراسة فقه السيرة:

- ١- تستمد أهميتها أولاً من أهمية صاحبها محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم، فهو سيد ولد آدم، وخاتم الأنبياء والمرسلين.
- ٢- كما تستمد أهميتها من أهمية صحابته الذين شهد الله لهم بأنهم خير أمة، وشهد لهم رسوله صلى الله عليه وسلم بأنهم خير القرون.
- ٣- فهم شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال حياته وظروفه التي عاش فيها، للتأكد من أنه لم يكن مجرد عبقرى سميت به عبقريته بين قومه ولكنه قبل ذلك رسول أيدته الله بوحى من عنده وتوفيق من لدنه.
- ٤- أن يجد الإنسان بين يديه صورة للمثل الأعلى في كل شأن من شؤون الحياة، كي يجعل منها دستوراً يتمسك به ويسير عليه، قال تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)
- ٥- أن يجد الإنسان في دراسة سيرته - صلى الله عليه وسلم - ما يعينه على فهم كتاب الله و تذوق روحه و مقاصده، إذن أن كثيراً من آيات القرآن إنما يجليها و يفسرها الأحداث التي مرت برسول الله صلى الله عليه وسلم و موقفه منها.
- ٦- أن تتجمع لدى المسلم من خلال دراسة السيرة قدر كبير من الثقافة و المعارف الإسلامية الصحيحة، سواء ما كان منها متعلقاً بالعقيدة أو الأحكام أو الأخلاق، إذ لا ريب أن حياته صلى الله عليه وسلم صورة مجسدة نيرة لمجموع مبادئ الإسلام و أحكامه.
- ٧- أن يكون لدى المعلم و الداعية الإسلامي نموذج حي عن طرائق التربية و التعليم، فقد كان محمد صلى الله عليه وسلم مربياً فاضلاً و معلماً ناصحاً لم يأل جهداً في تلمس أجدى الطرق لصالحه الى كل من التربية و التعليم خلال مختلف مراحل دعوته.

تعريف فقه السيرة



تعريف فقه السيرة في الاصطلاح:

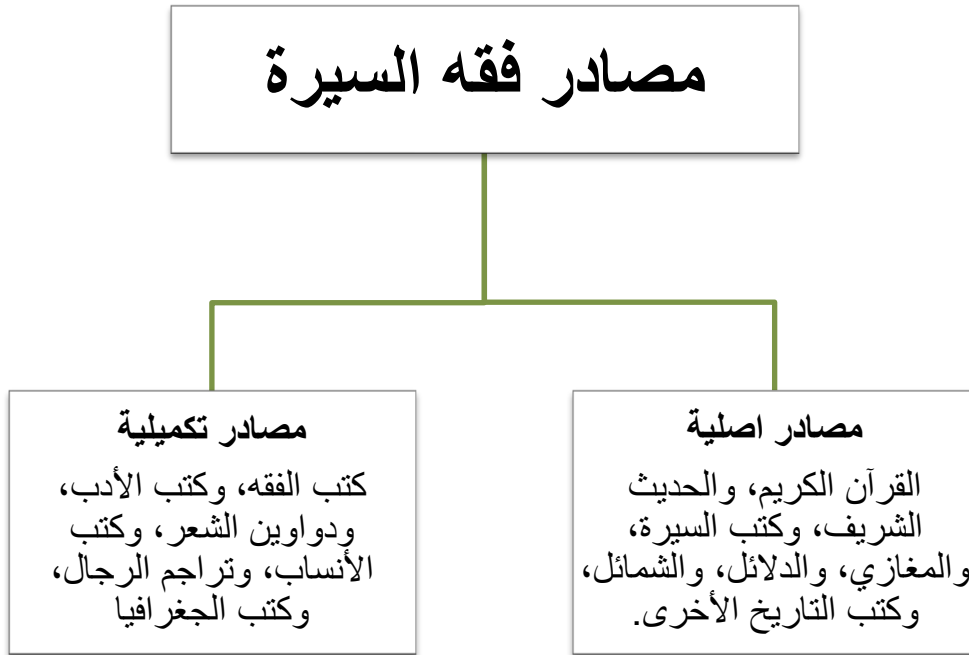
- ١- (موجز) هو فهم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فهما استيعابياً تفاعلياً منتجاً.
- ٢- (تعريف مفصل) هو فهم سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كمنهج حياة، وبناء فرد، وتكوين أمة ، وإقامة دولة، وتأسيس حضارة ، ورسالة إنسانية ، وفقه تعامل.

شرح التعريف : فهم سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كمنهج حياة : أي ان نستخدمها و نجعلها طريقة و اسلوب حياتنا كما في آداب الطعام و الشراب و طريقة النوم الصحيح و الممارسات اليومية / و بناء فرد : أي تربية هذا الفرد و تعليمه و صقل مهاراته و تحسين حياته ليرتقي الى سلوك صحيح و اخلاق حسنة / و تكوين أمة: أي مكونة من منهج اسلامي سليم في التعامل مع بعضهم البعض / و اقامة دولة : أي أن يكون حكم هذه الدولة و سياستها اسلامية مستوحاه من السيرة و كذلك الحدود و الواجبات / و تأسيس حضارة: أي حضارة تقوم على القرآن و السنة لتسعد البشرية / و رسالة إنسانية و هي تهدف الى اسعاد البشرية في الدنيا و الآخرة / و فقه التعامل: اي فهم كيفية التعامل مع كل فئة في المجتمع بما يناسبها و ايضا كيفية التعامل مع الله .

تنبيه: وعلى هذا فان فقه السيرة لا يُكتفى فيه بنقل القصة و إنما يهتم بما وراء هذه القصة من فوائد و دروس و استثمارها بما يعود بالنفع على الفرد و الأمة.

مصادر فقه السيرة :

مصادر فقه السيرة



س/ لماذا كانت الجزيرة العربية مهد الرسالة السماوية المحمدية ؟

- ١- لأنها كانت بعيدة عن مقر الديانات السماوية الأخرى ، فلا يتطرق الشك إلى نفوس الأعداء ان الرسول صلى الله عليه و سلم قد اخذ من تلك الديانات و ادعى بذلك أنه رسول.
- ٢- أن لغة الدين الإسلامي هي اللغة العربية فهي موافقة للغة أهل الجزيرة.
- ٣- أنها تقع في قلب العالم مما يسهل انطلاق الدعوة لكافة أنحاء العالم، فهي تلتقي برا وبحرا وجوا بكافة قرارات العالم.
- ٤- وجود بيت الله الحرام.
- ٥- مهد دعوة سيدنا ابراهيم عليه السلام.
- ٦- أن الجزيرة العربية لم تتأثر بالحضارات المحيطة بها.

مولد النبي صلى الله عليه وسلم و نشأته

نسبه:

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، ويدعى شيبه الحمد، ابن هاشم بن عبد مناف واسمه المغيرة، ابن قصي ويسمى زيادا، ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

هذا القدر المتفق عليه من نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم، أما ما فوق ذلك فمختلف فيه، لا يعتمد عليه في شيء، غير أن مما لا خلاف فيه أن عدنان من ولد إسماعيل نبي الله ابن إبراهيم خليل الله عليهما الصلاة والسلام، وأن الله عز وجل قد اختاره من أزكى القبائل وأفضل البطون وأطهر الأصلاب، فما تسلل شيء من أدران الجاهلية إلى شيء من نسبه.

و قد روى مسلم بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى هاشما من قريش واصطفاني من بني هاشم» .

ولادته صلى الله عليه وسلم:

أما ولادته صلى الله عليه وسلم فقد كانت في عام الفيل، أي العام الذي حاول فيه أبرهة الأشرم غزو مكة وهدم الكعبة فرده الله عن ذلك بالآية الباهرة التي وصفها القرآن، وكانت ولادته على الأرجح يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول.

ولهذه القصة أهمية كبيرة حيث أنها لفتت أنظار الناس الى مكة.

وقد ولد يتيما، فقد مات أبوه عبد الله وأمه حامل به لشهرين فحسب، فعني به جده عبد المطلب واسترضع له - على عادة العرب آنذاك - امرأة من بني سعد بن بكر يقال لها حليمة بنت أبي ذؤيب، و لكنها لم تكن أول المرضعات للرسول صلى الله عليه وسلم حيث أن أول من أرضعته جارية أبو لهب.

س/ ما الهدف من استرضاع العرب لأطفالهم ؟

١- لنقاء الهواء في البادية خارج مدينة مكة. ٢- لتعلم اللسان العربي الفصيح.

٣- قوة الجسم و اشتداده.

و قد كانت حليلة السعدية معروفة بالفقر و الضعف ، فلم تكن ميسورة الحال ، و قد رفضت أخذ الرسول صلى الله عليه و سلم في بادئ الأمر لكونه يتيما فخشيت أن لا تجد من ينفق عليه ، ولكنها لم تجد طفلا غيره فأبت أن ترجع فارغة اليدين فأخذت الرسول صلى الله عليه و سلم ، و منذ أن أخذته بدأت البركة تظهر حيث ازدادت سرعة دابة حليلة و كذلك ازداد لبنها فشربت هي وزوجها حتى الشبع و لم يكن لهم هذا من قبل ، و ازداد حليب حليلة أيضا فوضع الرسول صلى الله عليه و سلم هو و أخوه (في الرضاعة) حتى الشبع، حيث جاء في ما يعنيه كلام حليلة أمها قالت : لم نكن نستطيع النوم في الليل بسبب بكاء ولدها من الجوع . وحتى الأرض التي كانت ترعى فيها الدابة أصبحت مليئة بالكأ و العشب.

و عندما كان الرسول صلى الله عليه وسلم ابن اربعة سنوات وقعت حادثة شق الصدر ، فقد جاء عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه : (أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصصره فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئيره- فقالوا إن محمداً قد قتل. فاستقبلوه وهو منتقع اللون). قال أنس: أرى أثر المخيط في صدره. والظئير: المرصعة وهي هنا حليلة كما هو معلوم.

بعد هذه الحادثة خشيت عليه مرضعته، فردته إلى أمه.

ثم استقر عند أمه و ذهب معها إلى المدينة لزيارة أخواله من بني النجار، و أثناء عودتها توفيت بالأبواء و عمره ٦ سنين، فكفله جده واهتم به اهتماما بالغا، ثم توفي جده وعمره ٨ سنوات ، فكفله عمه أبو طالب، وعاش عنده مرارة اليتيم والفقر، فقد كان عمه كثير العيال وكان عيشهم شظفا.

فقه السيرة المستفاد مما سبق:

- ١- شاءت إرادة الله تعالى أن يجعل نبيه محمدا - صلى الله عليه وسلم - يتيما، حتى لا تتدخل يد بشرية في تربيته وتوجيهه، فيكون الله تعالى هو الذي يتولى تربيته، ولا يتلقى أو يتلقن من مفاهيم الجاهلية وأعرافها شيئا، إنما يتلقى من لدن الحكيم الخبير.
- ٢- وهناك في الصحراء حيث فصاحة اللسان، وسلامة الجسد وعافيته من وباء المدينة، كان كذلك شق صدره عليه الصلاة والسلام وإخراج العلقة السوداء منه وهي حظ الشيطان منه، ليكون ربانيا خالصا لله سبحانه، فلا أثر للشيطان جن أو شيطان إنس عليه، ويمثل مجامع الحمد في هذا الوجود.
- ٣- بعد عودة النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة بجوار أمه ذاق طعم اليتيم بوفاها ثم بكى لفقدان جده، وبذلك يحس واقعا لا حديثا بآلام اليتامى وأنات المعذبين، فيكون أبا لكل يتيم في هذا الوجود، ويقول كلمته الخالدة: ((أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين)).
- ٤- شاءت إرادة الله أن يذوق النبي صلى الله عليه وسلم طعم الفقر ليكون ذلك أدعى للإحساس بآلام وهموم الفقراء والمستضعفين.
- ٥- وأخيرا نلاحظ البركة التي رافقت النبي صلى الله عليه وسلم في كل مرحلة من مراحل حياته، والتي شهدها كل من عاصرة ابتداء بمرضته حليلة، وهذه البركة من دلائل النبوة فيض يعطيه الله من شاء من عباده.

نشأة النبي صلى الله عليه وسلم

المحاور:

١/مراحل نشأة النبي صلى الله عليه وسلم.

٢/أبرز الحوادث التي وقعت في كل مرحلة من هذه المراحل.

٣/دراسة فقه السيرة على ضوء هذه الحوادث.

مراحل نشأة النبي صلى الله عليه وسلم:

مرحلة الفتوة:

أبرز الحوادث التي مرت على النبي صلى الله عليه وسلم في مرحلة الفتوة:—

١/ لقاءه ببحيرا الراهب.

٢/ العمل بالرعي.

٣/ حرب الفجار.

٤/حلف الفضول.

أولاً: لقاء النبي صلى الله عليه وسلم ببحيرا الراهب:

لما تمّ له صلى الله عليه وسلم من العمر اثنتا عشرة سنة، سافر عمه أبو طالب إلى الشام في ركب

للتجارة، فأخذه معه. ولما نزل الركب (بصرى) مروا على راهب هناك يقال له (بحيرا) وكان عليهما

بالإنجيل خبيراً بشؤون النصرانية وهناك أبصر بحيرا النبيّ صلى الله عليه وسلم، فجعل يتأمله ويكلمه، ثم

التفت إلى أبي طالب فقال له:

ما هذا الغلام منك؟

فقال: ابني (وكان أبو طالب يدعوه بابنه لشدة محبته له وشفقته عليه) فقال له بجيرا:

ما هو بابنك وما ينبغي أن يكون أبو هذا الغلام حيا. فقال: هو ابن أخي. قال: فما فعل أبوه؟ قال:

مات وأمه حبلى به. قال بجيرا: صدقت. فارجع به إلى بلده واحذر عليه من اليهود فوالله لئن رأوه هنا

ليبلغنّه شرا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به أبو طالب عائدا إلى مكة.

ثانيا: العمل بالرعي:

ثم أخذ رسول الله يستقبل فترة الشباب من عمره فبدأ بالسعي للرزق وراح يشتغل برعي الغنم، ولقد قال

عليه الصلاة والسلام عن نفسه فيما بعد: «كنت أرعى الغنم على قراريط لأهل مكة». وحفظه الله من

كل ما قد ينحرف إليه الشبان من مظاهر اللهو والعبث، قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن

نفسه:

«ما هممت بشيء مما كانوا في الجاهلية يعملونه غير مرتين، كل ذلك يحول الله بيني وبينه، ثم ما هممت به

حتى أكرمني الله بالرسالة. قلت ليلة للغلام الذي يرعى معي بأعلى مكة: لو أبصرت لي غنمي حتى

أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب، فقال: أفعل، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة

سمعت عزفا فقلت: ما هذا؟ فقالوا: عرس، فجلست أسمع، ف ضرب الله على أذني، فتمت فما أيقظني إلا

حر الشمس، فعدت إلى صاحبي، فسألني فأخبرته، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ودخلت مكة

فأصابني مثل أول ليلة، ثم ما هممت بعده بسوء»

ولم يكن له صلى الله عليه وسلم عمل معين في أول شبابه، إلا أن الروايات تواتت أنه كان يرعى غنما،

رعاها في بني سعد، وفي مكة لأهلها على قراريط .

ثالثا: حرب الفجار:

ولخمس عشرة من عمره صلى الله عليه وسلم كانت حرب الفجار بين قريش ومن معهم من كنانة وبين قيس عيلان، وسميت بحرب الفجار لانتهاك حرمت الحرم والأشهر الحرم فيها، وقد حضر هذه الحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ينبىء على عمومته، أي يجهز لهم النبىء للرمي.

رابعا: حلف الفضول:

وعلى أثر هذه الحرب وقع حلف الفضول في ذي القعدة في شهر حرام، تداعت إليه قبائل من قريش فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان التيمي لسنه وشرفه، فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، وشهد هذا الحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال بعد أن أكرمه الله بالرسالة: لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعي به في الإسلام لأجبت» .

فقه السيرة من هذه الحوادث الأربعة:

١/ أن جميع الأنبياء عملوا بالرعي وهي مهنة تستلزم صفات شديدة كالصبر والتأمل والرفق والرحمة وهذه هيئة من الله لأنبيائه.

٢/ لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم ببخيرا يعتبر من الإرهاصات والدلائل على نبوته وفي هذا رد على النصارى الذين ينكرون ورود خبر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم في كتبهم.

٣/ أن الدين الإسلامي موافق للفطرة وأن كل الأمور والأخلاق الحسنة التي كانت في الجاهلية قد أقرها الدين الإسلامي.

٤/ مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم في حلف الفضول يدل على رجحان عقله وأن له وزنا عند قومه.

٥/ أن كل الأحداث التي عاصرها النبي صلى الله عليه وسلم قد أعطته خبرة وفهما لمجتمعه، وكذلك ينبغي على الداعية أن يفهم مجتمعه جيداً قبل أن ينخرط في دعوته إلى الله فيكون ذلك أدعى للقبول والاستجابة، كما أن فيها رسالة إلى كل داعية بأن يكون عضواً فعالاً في مجتمعه يساهم في كل ما يحتاج إليه ويرفع من شأنه، ويشارك أفراداً في أفراحهم وأتراحهم.

مرحلة الشباب

أبرز الحوادث التي مرت على النبي صلى الله عليه وسلم في مرحلة الشباب :

١/ زواجه من السيدة خديجة رضي الله عنها.

٢/ بناء الكعبة.

٣/ تحنثه في غار حراء.

١/ زواجه من السيدة خديجة رضي الله عنها:

كانت خديجة امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء يجعله لهم منه، فلما بلغها عن رسول الله صدق الحديث وعظم الأمانة وكرم الأخلاق، أرسلت إليه ليخرج في مالها إلى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره، ومعه غلامها ميسرة. وقد قبل محمد عليه الصلاة والسلام هذا العرض فرحل إلى الشام عاملاً في مالها ومعه ميسرة. فحالفه التوفيق في هذه الرحلة أكثر من غيرها، وعاد إلى خديجة بأرباح مضاعفة، فأدى لها ما عليه في أمانة تامة ونبيل عظيم. ووجد ميسرة من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وعظيم أخلاقه ما ملأ قلبه، دهشة له، وإعجاباً به فروى ذلك لخديجة.

فأعجبت خديجة رضي الله عنها بعظيم أمانته، ولعلها دهشت لما نالها من البركة بسببه، فعرضت نفسها عليه زوجة بواسطة صديقتها (نفيسة بنت منية) ، فوافق النبي عليه الصلاة والسلام، وكلم في ذلك أعمامه فخطبوا له من عمها عمرو بن أسد. وتزوجها عليه الصلاة والسلام وقد تم له من العمر خمسة وعشرون عاما ولها من العمر أربعون.

٢ / بناء الكعبة وقضية التحكيم :

قد تعرضت الكعبة بعد ذلك للعوادي التي أوهت بنياتها وصدعت جدرانها، وكان من بين هذه العوادي سيل عرم جرف مكة قبل البعثة بسنوات قليلة، حيث زاد ذلك من تصدع جدرانها وضعف بنياتها، فلم تجد قريش بدا من إعادة تشييد الكعبة حرصا على ما لهذا البناء من حرمة وقداسة خالدة. ولقد كان احترام الكعبة وتعظيمها بقية مما ظل محفوظا من شريعة إبراهيم عليه السلام بين العرب. ولقد شارك الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة في بناء الكعبة وإعادة تشييدها مشاركة فعالة، فلقد كان ينقل الحجارة على كتفه، ما بينها وبينه إلا إزاره، وكان له من العمر إذ ذاك خمس وثلاثون سنة في الأصح.

ولقد كان له صلى الله عليه وسلم أثر كبير في حلّ المشكلة التي تسببت عن اختلاف القبائل حول من يستحق أن ينال شرف وضع الحجر الأسود في مكانه، فقد خضع جميعهم لاقتراحه الذي أبداه حلاً للمشكلة، علما منهم بأنه الأمين والمحبوب من الجميع.

٣ / غار حراء:

ولما أخذت سنّه تدنو نحو الأربعين، نشأ لديه حب للعزلة بين الفترة والأخرى، وحب الله إليه الاختلاء في غار حراء- وحراء جبل يقع في جانب الشمال الغربي من مكة- فكان يخلو فيه، ويتعبد فيه الليالي ذوات العدد ويقضي وقته في العبادة والتفكير فيما حوله من مشاهد الكون وهو غير مطمئن لما عليه

قومه من عقائد الشرك واللهو والغناء والخمر وكان اختياره لهذه العزلة طرفاً من تدبير الله له وليعده لما ينتظره من الأمر العظيم فتارة عشرة وتارة أكثر من ذلك إلى شهر، ثم يعود إلى بيته فلا يكاد يمكث فيه قليلاً حتى يتزود من جديد لخلوة أخرى ويعاود الكرة إلى غار حراء، وهكذا إلى أن جاءه الوحي وهو في إحدى خلواته تلك.

فقه السيرة من المرحلة الماضية:

- ١- مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم في بناء الكعبة وحل الخلاف الحاصل بسبب الحجر الأسود يدل على رجحان عقله وأن له وزناً عند قومه.
- ٢- شاءت إرادة الله أن يكون زواجه صلى الله عليه وسلم بخديجة رضي الله عنها فهي أوسط قرين نسبا وأعظم النساء شرفاً، وكانت أكبر سند للنبي صلى الله عليه وسلم في دعوته، وفي هذا درس لكل داعية بأنه بحاجة للشريك المساند الداعم.
- ٣- في قصة زواج خديجة من النبي صلى الله عليه وسلم درس لكل امرأة مسلمة بأن تحسن اختيار الزوج الصالح، وأنه لا ينقص من شأنها أن تهيئ السبل لذلك.
- ٤- ابتعاد النبي صلى الله عليه وسلم عن طقوس قومه وعباداتهم وخلوته كلها كانت لتهيئته عليه السلام لتلقي الوحي، وهذا درس لكل مسلم فنحن دائماً بحاجة للاختلاء عن الناس والتفكير في مسار الحياة وإعادة ترتيب الأفكار ومحاسبة النفس، ولا يتأتى ذلك إلا بالخلوات.

مرحلة بدء الوحي :

« أول ما بدئ به رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال له اقرأ، فقال ما أنا بقارئ ، قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، فرجع بها رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم يرجف فؤاده. فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال:

زملوني، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فأخبرها الخير، وقال: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وكان ابن عم خديجة، وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل في العبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي. فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس (أي جبريل أو الوحي) الذي نزل على موسى يا ليتني فيها جذعا (شابا قويا) ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرا. ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي.

واختلف في الزمن الذي فتر فيه الوحي فقليل ثلاث سنوات، وقيل أقل من ذلك، والراجح ما رواه البيهقي من أن المدة كانت ستة أشهر.

ثم روى البخاري عن جابر بن عبد الله قال وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه:
«بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على
كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه، فرجعت فقلت: زملوني، زملوني، فأنزل الله عزّ وجلّ: يا أَيُّهَا
الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ إِلَى قَوْلِهِ: وَالرُّجُزَ فَاهْجُرْ فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَوَاتَرَ»

فقه السيرة في قصة بدء الوحي :

١/ أن من الدليل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم رؤيته جبريل على صورته الحقيقية.

٢/ كرر جبريل على النبي كلمة (اقرأ) للتأكيد والتثبيت.

٣/ أراد الله تعالى أن تكون أول كلمة من الوحي يسمعها النبي صلى الله عليه وسلم هي (اقرأ)، لتدل
دلالة واضحة على عظمة ودور العلم في حياة البشرية، العلم من لدن الحكيم الخبير، والذي يعتمد على
القراءة والكتابة بالقلم أسلوباً رئيسياً له.

٤/ ضم جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم دليل حسي وهو دليل أقوى على صدق ما وقع للنبي صلى الله
عليه وسلم.

٥/ فرع النبي وهرعه لزوجته خديجة وخوفه الشديد أدل على صدقه لأنه يصعب على الإنسان افتعال
الفرع، فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف ما هو الوحي، وماذا تعني الرسالة، فلم يقرأ في كتاب، ولم
يتعلم على يدي راهب، ولم يجالس كاهناً قط

٦/ من أقوال المغرضين: أنّ ما حصل للنبي صلى الله عليه وسلم هو ضرب من المس أو الصرع أو المرض
ونزد عليهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن معروفاً عندهم بهذه الأمراض وقريش تعرفه تماماً
بالصادق الأمين ذو العقل والحكمة والفتنة، فكيف يفتري عليه بعد البعثة بتلك الافتراءات.

٧/ من الحكم الاستفادة من فتور الوحي: كي يشترك له النبي صلى الله عليه وسلم، وليذهب عنه ما أصابه من الروح، وفي ذلك أيضاً: دليل على صدق نبوته، فهو لم يكن يتشوق إلى النبوة قبل ذلك ولم يسع في طلبها، بل اختاره الله تعالى لهذه المهمة العظيمة.

٨/ في القصة دليل على حكمة السيدة خديجة، فلما جاءها النبي صلى الله عليه وسلم فرعاً، زملمته وبدأت تعدد عليه محاسنه، ثم أخذته إلى ابن عمها ورقة ابن نوفل ليفسر له ما حصل، فذهبت به إلى عالم ولم تذهب إلى كاهن أو ساحر كما يفعل بعض الناس عند رغبتهم في تفسير أمر ما، إنه درس للمرأة المسلمة الداعية، أن تكون دعوة الله ورسوله هي التي تملأ عليها كيانها، وحياتها، ووجودها، أمام أسوتها خديجة، وأن تجعل حياتها ومالها وجاهها في سبيل الله تحمل الراية بجوار زوجها الداعية، وتكون عوناً له لا عبئاً عليه، تخفف عنه آلامه وهمومه، لا تثبطه وتوهنه وتجرحه أن يثاقل إلى الأرض، ودرس للرجل المسلم الداعية، أن يعرف لزوجته فضلها ومحتها في جواره، وصبرها على متاعبه، إن يتمثل عظمة الوفاء النبوي في وصل صديقات خديجة بعد وفاتها، وفي هشه وبشه لاستئذان هالة أخت خديجة.

٩/ في قول ورقة بن نوفل: " ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك"، بيان الثمن الباهظ الذي يدفعه الداعية لهذا الطريق، فلن يقبل الناس أفواجا على هذا الدين منذ أول الطريق، فلا بد أن يوطن الداعية نفسه على الصبر على مشاق الطريق، وتحمل تبعاته، وأن يعلم أن هذا الدين، وإن كان يمثل الفطرة السوية للبشر، لكنه يتعارض مع أهوائهم ومصالحهم وطغيانهم، ولن يدع الطغاة للدعاة الطريق مفروشا بالرياحين، بل يملؤونه بالدماء والأشلاء والآلام، ومهمة الداعية أن يقتلع هذه الأشواك، ويواجه المحن مهما اكتظت والخطوب مهما ادلهمت، لأنه وضع نفسه على خطا النبيين.

مراحل الدعوة

مرّت الدّعوة الإسلاميّة في حياته عليه الصلاة والسلام، منذ بعثته إلى وفاته بأربع مراحل:

المرحلة الأولى: الدّعوة سرّاً، واستمرت ثلاث سنوات.

المرحلة الثانية: الدّعوة جهراً، وباللسان فقط، واستمرت إلى الهجرة.

المرحلة الثالثة: الدّعوة جهراً، مع قتال المعتدين والبدائين بالقتال، واستمرت هذه المرحلة إلى عام صلح

الحديبية.

المرحلة الرابعة: الدّعوة جهراً مع قتال كل من وقف في سبيل الدعوة أو امتنع عن الدخول في الإسلام-

بعد فترة الدعوة والإعلام- من المشركين أو الملاحدة أو الوثنيين.

وكانت هذه المرحلة هي التي استقر عليها أمر الشريعة الإسلاميّة وقام عليها، حكم الجهاد في الإسلام.

المرحلة الأولى: مرحلة الدعوة السرية

بدأ النبي صلّى الله عليه وسلم يستجيب لأمر الله، فأخذ يدعو إلى عبادة الله وحده ونبذ الأصنام، ولكنه

كان يدعو إلى ذلك سرّاً حذراً من وقع المفاجأة على قريش التي كانت متعصبة لشركها ووثنيته، فلم

يكن عليه الصلاة والسلام يظهر الدّعوة في المجالس العمومية لقريش، ولم يكن يدعو إلا من كانت تشدّه

إليه قرابة أو معرفة سابقة.

وكان في أوائل من دخل الإسلام من هؤلاء: خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وعلي بن أبي طالب،

وزيد بن حارثة مولاه عليه الصلاة والسلام ومتبناه، وأبو بكر بن أبي قحافة، وعثمان بن عفان، والزبير

بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص.. وغيرهم، رضي الله عنهم جميعاً.

فكان هؤلاء يلتقون بالنبي صلّى الله عليه وسلم سرّاً، وكان أحدهم إذا أراد ممارسة عبادة من العبادات

ذهب إلى شعاب مكة يستخفي فيها عن أنظار قريش.

ثم لما زاد الذين دخلوا في الإسلام على الثلاثين - ما بين رجل وامرأة - اختار لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم دار أحدهم، وهو الأرقم بن أبي الأرقم، ليلتقي بهم فيها لحاجات الإرشاد والتعليم، وكانت حصيلة الدعوة في هذه الفترة ما يقارب أربعين وقيل ستين رجلا وامرأة دخلوا في الإسلام، عامتهم من الفقراء والأرقاء ومن لا شأن له بين قريش.

فقه السيرة في الدعوة السرية :

١/ على الداعية أن يقتدي بالأنبياء في دعوته، ويدرس مجتمع دعوته جيداً، فإن رأى البدء بالدعوة السرية أجدى وأنفع وفقاً لذلك المجتمع بدأ بها.

٢/ أن أتباع الأنبياء دائماً هم من الفقراء والمستضعفين لصفاء فطرتهم وقربهم من الحق.

٣/ اختار النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ليجتمع فيها المسلمون لبعدها عن أنظار أهل مكة.

المرحلة الثانية: الجهر بالدعوة:

بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنفيذ أمر ربه .

فاستجاب لقوله تعالى: { فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ } بأن صعد على الصفا فجعل ينادي :

(يا بني فهر، يا بني عدي، حتى اجتمعوا، فجعل الذي لم يستطع أن يخرج يرسل رسولا لينظر :

ما هو؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم

مصدقني؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .

فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم.. ألهذا جمعنا؟) .

فنزل قوله تعالى: { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ }

ثم نزل الرسول فاستجاب لقوله تعالى :

وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ بِأَنْ جَمَعَ مِنْ حَوْلِهِ جَمِيعَ ذَوِيهِ وَأَهْلَ قَرَابَتِهِ وَعَشِيرَتِهِ،

فقال: (يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب: أنقذوا أنفسكم من النار، يا

بني عبد شمس: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد

المطلب: أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا غير

أن لكم رحما سابلها ببلاها)

وكان رد الفعل من قريش أمام جهره بالدعوة، أن أدبروا عنه وتنكروا لدعوته معتذرين بأنهم لا يستطيعون أن يتزكوا الدين الذي ورثوه عن آبائهم وأصبح من تقاليد حياتهم .
 وحينئذ نبههم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ضرورة تحرير أفكارهم وعقولهم من عبودية الاتباع والتقليد، واستعمال العقل والمنطق، وأوضح لهم أن آلهتهم التي يعكفون على عبادتها لا تفيدهم أو تضرهم شيئاً، وأن توارث آبائهم وأجدادهم لعبادتها ليس عذراً في اتباعهم بدون دافع إلا دافع التقليد.

فقه السيرة لهذه المرحلة:

- ١/ لم يبدأ النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المرحلة إلا بعد أن تكونت القاعدة الصلبة من المسلمين واللبننة الأولى للدعوة في فترة الدعوة السرية.
- ٢/ لم يكن الانتقال قويا مفاجئا لجميع العرب، لكن كانت المرحلة لدعوة الأقربين من بني هاشم وبني عبد المطلب.
- ٣/ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حينما صدع بالدعوة إلى الإسلام في قريش وعامة العرب، فاجأهم بما لم يكونوا يتوقعونه أو يألفونه. نجد ذلك واضحا في ردّ أبي لهب عليه، ثم في اتفاق معظم المشركين من زعماء قريش على معاداته ومقاومته.

باقي المراحل:

عمم النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الدعوة لقريش كلها، فانضم إلى الدعوة روافد جديدة من بطون قريش التي بلغت اثنا عشر بطنا رفعت رصيد الدعوة إلى قرابة الثلاثمائة بين رجل وامرأة، رغم الحرب التي خاضتها قريش بقياداتها الرسمية ضد رسول الله ودينه ودعوته.
 وبغض النظر عن أعداد العدو، فإن كل مسلم في هذه المرحلة من البناء يعدل العشرات من المشركين بل المئات.
 ولو لم تتدرج الدعوة في هذه المراحل لكان الفشل حليفها لكنها حكمة الله عز وجل وإرادته لاستمرار هذه الدعوة.

الإيذاء

اشتدت قريش في معاداتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد لاقى من إيذائهم أنواعا كثيرة .
 من ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: (بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر إسماعيل إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟)

- ومنه ما كانوا يواجهونه به من فنون الهزء والغمز واللمز كلما مشى بينهم أو مرّ بهم في طرقهم أو نواديهم،
- ومنه التشويه بالتلقيب بالمجنون والكاذب والشاعر والساحر.
- التهديد والحرب النفسية والتخويف.
- الترغيب بالمال والسيادة والنساء.
- التعجيز بطلب معجزات خارقة من النبي إثباتا لنبوته.
- الاغتيال.

وأما أصحابه رضوان الله عليهم، فقد تجرع كل منهم ألوانا من العذاب، حتى مات منهم من مات تحت العذاب وعمي من عمي، ولم يثنهم ذلك عن دين الله شيئا.

المقاطعة والحصار الاقتصادي:

ورد بأسانيد مختلفة عن موسى بن عقبة، عن ابن إسحاق، وعن غيرهما، أن كفار قريش أجمعوا أمرهم على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلموا في ذلك بني هاشم وبني المطلب، ولكنهم أبوا تسليمه صلى الله عليه وسلم إليهم.

فلما عجزت قريش عن قتله صلى الله عليه وسلم أجمعوا على منابذته ومنابذة من معه من المسلمين ومن يحميه من بني هاشم وبني المطلب، فكتبوا بذلك كتابا تعاقدوا فيه على ألا يناكحهم، ولا يبائعهم، ولا يدعوا سببا من أسباب الرزق يصل إليهم، ولا يقبلوا منهم صلحا ولا تأخذهم بهم رافة، حتى يسلم بنو المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم للقتل، وعلقوا الكتاب في جوف الكعبة.

والتزم كفار قريش بهذا الكتاب ثلاث سنوات، بدءا من المحرم سنة سبع من البعثة إلى السنة العاشرة منها، وقيل بل استمر ذلك سنتين فقط.

فجهد النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون جهدا شديدا في هذه الأعوام الثلاثة واشتد عليهم البلاء، وفي الصحيح أنهم جهدوا حتى كانوا يأكلون ورق الشجر .

فلما كان على رأس ثلاث سنين من بدء هذا الحصار، تلاوم قوم من بني قصي من أعمام النبي صلى الله عليه وسلم، خاصة عمه أبو طالب الذي استغل مكانته بين قومه وأثر على بني هاشم لنقض العهد، وفك الحصار، فأجمعوا أمرهم على نقض ما تعاهدوا عليه، وأرسل الله على صحيفتهم التي كتب فيها نص المعاهدة الأرضية، فأنت على معظم ما فيها من ميثاق وعهد، ولم يسلم من ذلك إلا الكلمات التي فيها ذكر الله عز وجل.

فقه المراحل السابقة:

١/ أنه إذا تمكن السفهاء من سيد الخلق، وتضاحكوا عليه، وألقوا سلا البعير عليه، وحاولوا خنقه - عليه الصلاة والسلام - وهو أكرم مخلوق على الله تعالى كل هذا يهون على المؤمن كل ما يمكن أن يصيبه من محاولات الإنقاص من قيمته.

٢/ أن العذاب الجسدي من الجر في الهاجرة على بطحاء مكة، ووضع الصخرة العظيمة، والتعذيب بالنار لخباب وعمار، والسجن لأبي بكر وطلحة كل هذه الأمور نماذج مما يمكن أن يلقاه المسلم من التعذيب في سبيل دينه.

٣/ أسلوب المقاطعة من أغرب الأساليب وأخطرها في مواجهة الدعوة، وهو يتكافأ مع مدى القوة التي وصلت إليها الدعوة في محاولة من المحاولات اليائسة للإجهاد عليها وإفنائها، وإن كان أسلوب الاغتيال ينال شخص قائد الدعوة وعصبها الرئيسي، فأسلوب المقاطعة يتناول كل فرد فيها، بل يتناول كل فرد يناصرها أو يذود عنها أو يتعاطف معها.

٤/ لعض النفوس وإن كانت تظهر أنها من أعمدة الكفر إلا أنها تملك في داخلها رفضا للبغي والظلم، قد لا تستطيع إبراز موقفها خوفا من القبيلة أو كلام الناس وقد ينتصر الحق في داخلها أخيرا وتصدع بالحق.

الهجرة إلى الحبشة

ثم إن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم لما رأى ما يصيب أصحابه من البلاء وأنه لا يقدر على أن يحميهم ويمنعهم مما هم فيه، قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإنّ بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه.»

فخرج عند ذلك المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارا إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام.

وكان في مقدمة المهاجرين: عثمان بن عفان وزوجته، رقية بنت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، وأبو حذيفة وزوجته، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير وعبد الرحمن بن عوف ... حتى اجتمع في أرض الحبشة من أصحابه صَلَّى الله عليه وسلم بضعة وثمانون رجلا.

فقه الهجرة إلى الحبشة:

نأخذ من حديث هجرة المسلمين إلى الحبشة ثلاث دلالات:

الدلالة الأولى: إن الدين والاستمساك به وإقامة دعائمه، أساس ومصدر لكل قوة، وهو السياج لحفظ كل حق من مال وأرض وحرية وكرامة

الدلالة الثانية: ونأخذ منها حقيقة العلاقة القائمة بين ما جاء به سيدنا محمد وسيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام.

الدلالة الثالثة: أنه يجوز للمسلمين أن يدخلوا في حماية غير المسلمين إذا دعت الحاجة إلى ذلك، سواء أكان المجير من أهل الكتاب كالنجاشي إذ كان نصرانيا عندئذ، ولكنه أسلم بعد ذلك، أم كان مشركا كأولئك الذين عاد المسلمون إلى مكة في حمايتهم عندما رجعوا من الحبشة وكأبي طالب عم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، وكالمطعم بن عدي الذي دخل الرسول صَلَّى الله عليه وسلم مكة في حمايته عندما رجع من الطائف.

عام الحزن

وهو العام العاشر من بعثته صَلَّى الله عليه وسلم، فقد توفيت فيه زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وتوفي فيه عمه أبو طالب، ويقول ابن سعد في طبقاته: «كان بين وفاة خديجة وأبي طالب شهر وخمسة أيام.»

فقه أحداث هذا العام:

ترى، ما الحكمة في أن يتعجل قضاء الله تعالى في استلاب أبي طالب من الحياة، قبل أن يشتد ساعد المسلمين في مكة ويتكون لهم شيء من المنعة؟ ومعلوم أنه قد كان يحمي الرسول - قدر الإمكان - من كثير من المصائب والشدائد، وما الحكمة في أن يتعجل القضاء باستلاب زوجته خديجة رضي الله عنها، وقد كان يجد عندها أنسه وسلواه، وينفض بمساعدتها عن كاهله كثيرا من أحاسيس الشدائد والآلام؟ لقد قضت حكمة الله تعالى أن يفقد الرسول عمه أبا طالب وزوجته خديجة بنت خويلد، ويفقد من حوله من كان في الظاهر حاميا له ومؤنسا، حتى تتجلى حقيقتان هامتان:

أولاهما: أن الحماية والعناية والنصر، إنما يأتي كل ذلك من الله عز وجل. ولقد تعهد الله أن يعصم رسوله من المشركين والأعداء، فسواء كان ثمة من يحميه من الناس أو لم يكن ثانيتهما: ليس معنى العصمة من الناس أن لا يرى منهم إيذاء أو عذابا أو اضطهادا، وإنما معنى العصمة التي تعهد بها الله عز وجل بقوله: **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** [المائدة ٦٧ / ٥] العصمة من القتل ومن أي صد أو عدوان من شأنه إيقاف الدعوة الإسلامية

فالنبي صَلَّى الله عليه وسلم لم يحزن على فراق عمه وفراق زوجته ذلك الحزن الشديد، ولم يطلق على تلك السنة: عام الحزن، مجرد أنه فقد بعض أقاربه فاستوحش لفقدهم. بل سبب ذلك ما أعقب وفاقهما من انغلاق معظم أبواب الدعوة الإسلامية في وجهه، فقد كانت حماية عمه له تترك مجالات كثيرة للدعوة وسبلا مختلفة للتوجيه والإرشاد والتعليم.. وكان يرى في ذلك بعض النجاح في العمل الذي أمره به ربه.

ومن أجل تخفيف هذا الحزن عليه كانت تنزل الآيات مواسية له ومسلية، ومدكرة إياه بأنه ليس مكلفا بأكثر من التبليغ، فلا داعي إلى أن يذهب نفسه عليهم حسرات إذا لم يستجيبوا ولم يؤمنوا.

خروج الرسول ﷺ إلى الطائف

ولما نالت قريش من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما وصفناه من الأذى، خرج إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ويرجو أن يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله عز وجل.

ولما انتهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ ساداته، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم من أجله، فردوا عليه ردا منكرا، وفاجؤوه بما لم يكن يتوقع من الغلظة وسمج القول. فقام رسول الله من عندهم وهو يرجوهم أن يكتموا خبر مقدمه إليهم عن قريش إذن، فلم يجيبوه إلى ذلك أيضا. ثم أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونهم ويصيحون به، وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أن رجلي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتدميان، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شخّ في رأسه عدة شجاج، حتى وصل رسول الله إلى بستان لعتبة بن ربيعة، فرجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد عليه الصلاة والسلام، وقد أنهكه التعب والجراح، إلى ظل شجرة عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه. فلما اطمأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك الظل، رفع رأسه يدعو بهذا الدعاء: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك.»

ثم إن ابني ربيعة - صاحبي البستان - تحركت الشفقة في قلوبهما، فدعوا غلاما نصرانيا لهما يقال له (عداس) فأرسلا إليه قطفا من العنب في طبق، فلما وضع عداس العنب بين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال له: كل، مدّ الرسول يده قائلا: بسم الله. ثم أكل، فقال عداس متعجبا:

والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له الرسول: ومن أي البلاد أنت؟ وما دينك؟ قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى (قرية بالموصل)، فقال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ فقال عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذلك أخي، كان نبيا وأنا نبي.. فأكبّ عداس على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبل رأسه ويديه وقدميه»

قال ابن إسحاق: «ثم إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انصرف من الطائف راجعا إلى مكة، حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي، فمرّ به نفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى، فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته ولّوا إلى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا.

وقد قصَّ الله خبرهم عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ إِلَى قَوْلِهِ: وَجُزِّئُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ [الأحقاف ٤٦ / ٢٩]** ، وقوله: **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ.. الآيات [الجن ٧٢ / ١]** .

ثم عاد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومعه زيد بن حارثة - يريد دخول مكة. فقال له زيد: «كيف تدخل عليهم يا رسول الله وهم أخرجوك؟ فقال: يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه» . ثم أرسل رجلا من خزاعة إلى مطعم بن عدي يخبره أنه داخل مكة في جواره، فاستجاب مطعم لذلك. وعاد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مكة »

فقه هذا الحدث:

في هذه الهجرة التي قام بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما انطوت عليه من العذاب الواصب الذي رآه عليه الصلاة والسلام، ثم في شكل عودته إلى مكة، نستخلص الأمور التالية:
أولاً: إن ما كان يلاقيه النبي عليه الصلاة والسلام من مختلف ألوان المحنة، لا سيما هذا الذي رآه في ذهابه إلى الطائف، إنما كان من جملة أعماله التبليغية للناس.

وكان النبي عليه الصلاة والسلام قد استقبل تلك المحن راضياً، وتجرع تلك الشدائد صابراً محتسباً وأن الشكوى إلى الله تعبد، والضراعة له والتذلل على بابه تقرب وطاعة. وللمحن والمصائب حكم، من أهمها أنها تسوق صاحبها إلى باب الله تعالى وتلبسه جلاباب العبودية له

ثانياً: إذا تأملنا في مشاهد سيرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع قومه، وجدنا أن ما كان يجده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأذى في هذه المشاهد قد يكون قاسياً شديداً، بيد أنك واجد في كل مشهد منها ما يعتبر رداً إلهياً على ذلك الإيذاء وما يهدف إليه أربابه. كي يكون في ذلك مواساة للرسول عليه الصلاة والسلام، وكي لا يتجمع في النفس من عوامل التألم والضجر ما يدخل إليها اليأس.

ثالثاً: وفيما كان يفعله زيد بن حارثة رضي الله عنه، من وقاية للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفسه، من حجارة السفهاء، حتى إنه شج في رأسه عدة شجاج، نموذج لما ينبغي أن يكون عليه حال المسلم بالنسبة لقائد الدعوة، من حمايته له بنفسه ودفاعه عنه وإن اقتضى ذلك التضحية بحياته.

هكذا كانت حال الصحابة رضي الله عنهم بالنسبة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

رابعاً: فيما قصه علينا ابن إسحاق من استماع النفر من الجن إليه، وهو يصلي من جوف الليل بنخلة، دليل على وجود الجن وأنهم مكلفون، وأن منهم من آمن بالله ورسوله ومنهم من كفر ولم يؤمن.

الإسراء والمعراج :

يقول الحق سبحانه : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الإسراء: ١].

شاء الله الذي لا راد لمشيئته سبحانه ، القادر الذي لا يعجزه شيء ، أن يمن على خليله ومصطفاه برحله مباركة ، هي الإسراء والمعراج.

الإسراء : هي رحلة ارضية تمت بقدرة الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس .

أما المعراج : فهي رحله سماوية علوية ، تجاوزت الزمان والمكان والمسافات ، ابتدأت من بيت المقدس إلى السماوات العُلا ، ثم إلى صدره المنتهى ، ثم مكان سمع فيه النبي صلى الله عليه وسلم فيه صريف الأقدام ، ثم كلمة الجبار .

(صفة الإسراء والمعراج)

ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس بالبراق ثم دخل المسجد فصلى فيه ركعتين ثم خرج فجاءه جبريل عليه السلام بإناء من لبن واخر من خمر فاختر اللبن فقال له جبريل اخترت الفطرة ثم عرج به إلى السماء ، فكان يستقبله في كل سماء نبي فيرحب به ويدعو له بالخير ففي السماء الاولى استقبله (جبريل عليه السلام) وفي الثانية (عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا) صلوات الله عليهما وفي الثالثة (يوسف عليه السلام) والرابعة (إدريس) واما الخامسة (هارون عليه السلام) والسادسة (موسى عليه السلام) والسماء السابعة (إبراهيم عليه السلام) مسنداً ظهره إلى البيت المعمور . ثم ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى صدره المنتهى فأوحى إليه الله بخمسين صلاة باليوم والليلة وعندما نزل عليه السلام إلى موسى فسأله ما فرض ربك على امتك فقال عليه السلام : خمسين صلاة فقال له :ارجع إلى ربك فسأله التخفيف فما زال رسول الله يطلب من ربه التخفيف على امته حتى جعلها الله سبحانه وتعالى خمس صلوات بأجر خمسين صلاة .

- فقه السيرة المستفاد من حادثة الأسراء والمعراج :

١- من دلالات الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم هو أن رسالة الله واحدة إلى خلقه وهي الإسلام (إن الدين عند الله الإسلام) وبه جاء الأنبياء من لدن آدم ونوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم فهو يصلي إماما بالأنبياء و يؤم بيت المقدس الذي أقيم للناس ليعبدوا الله تعالى فيه بعد بيت الله الحرام .

٢- وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن حين خير بينه وبين الخمر وبشارة جبريل عليه الصلاة والسلام :هديت للفطرة ، تؤكد أن هذا الإسلام دين الفطرة البشرية الذي ينسجم معها فالذي خلق الفطرة البشرية خلق لها هذا الدين الذي يلي نوازعها واحتياجاتها ويحقق طموحاتها ويكبح جموحها (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

٣- حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إخبار قومه بما من الله تعالى عليه بهذا الإكرام رغم توقع التكذيب .

٤- الرسول صلى الله عليه وسلم مقدم على مرحلة جديدة مرحلة الهجرة والانطلاق لبناء الدولة ويريد الله تعالى للنبات الأولى في البناء أن تكون سليمة قوة متراصة متماسكة وجعل الله تعالى هذا الاختبار والتحميم ليخلص الصف من الضعاف المترددين والذين في قلوبهم مرض ويثبت المؤمنين الأقوياء والخلص .

٥- لقد كان افتتاح الإسراء والمعراج بشق صدره عليه السلام وبملئه بالإيمان وغسل القلب وكذلك وهو أمر من معجزاته صلى الله عليه وسلم تقتضيه تلك الرحلة وما فيها من الاطلاع على عوالم من عوالم الغيب لن يستطيعها بشر ولن يطيقها مخلوق ومن أجل هذا هبى قلبه عليه الصلاة والسلام لمثل هذا المعراج وهذا الامر يعفينا من كثير من الخواطر حول إمكانية رؤية رسول الله لربه والأمر كله أكبر من قياسه على العقل البشري .

٦- وما هبأه الله تعالى لنبيه من أن يكون موسى عليه الصلاة والسلام على طريق عودته ويتذاكر معه فيما فرض عليه ربه فيلح موسى على محمد صلى الله عليه وسلم العودة إلى ربه ومناجاته وطلب التخفيف عن أمته وكيف كان يمضي ثم يعود فيسقط الله تعالى عنه عشرا وكيف وقف عند الخمس بعد ذلك ويستحي من ربه عز وجل العودة فيسمع نداء ربه :أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي .

- هجرته صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة :

سبب الهجرة :

١- الفرار بالدين ووجود الاذى من كفار قريش .

٢- قدوم وفد من الخزرج عرضو على الرسول صلى الله عليه وسلم النصره .

٣- أمر الله له بالهجرة.

- فقه السيرة المستفاد من الهجرة:

١- الدعوة في مكة وصلت الى الطريق المسدود وان الحبشة لا تصلح قاعدة للدعوة فقد أعد

الله تعالى الخير لأهل، والذي دفع أهل يثرب للإستجابة لرسول الله ماكانوا يسمعونونه من

اليهود عن النبي فقال بعضهم لبعض : (تعلموا بالله أنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا

تسبقنكم إليه) فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من

الاسلام وقالوا: (إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى أن يجمعهم

الله بك فسندم عليهم فدعوههم إلى أمرك وتعرض عليهم الذي أجبتك إليه من هذا الدين

فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك) والملاحظ أن دعوة النبي للأنصار كانت دعوة

عرضية ولم تكن مقصودة وكان وفد يثرب صغيرا وليس قادرا على أن يتحمل مسؤولية

الحماية والنصرة فلقبهم الرسول ودعاهم وهو لا يعرف إبتداء لأي قبيلة ينتسبون، فنصر الله

تعالى يأتي من قلب الخنة ويأتي النور من كبد الظلمة والله تعالى هو المؤيد والناصر والبشر

عاجزون أمام موعود الله .

٢- ومن أبرز ما يظهر لنا من قصة هجرته عليه الصلاة والسلام، استبقاؤه لأبي بكر رضي الله

عنه دون غيره من الصحابة كي يكون رفيقه في هذه الرحلة.

وقد استنبط العلماء من ذلك مدى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وأنه أقرب

أصحابه إليه وأولاهم بالخلافة من بعده، ولقد عززت هذه الدلالة أمور كثيرة أخرى مثل

استخلافه عليه الصلاة والسلام له في الصلاة بالناس عند مرضه وإصراره على أن لا يصلي

عنه غيره. ومثل قوله في الحديث الصحيح: «لو كنت متخذا خليلا لا اتخذت أبا بكر

خليلا».

٣- وفي تخلف علي رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أداء الودائع التي كانت عنده إلى أصحابها دلالة باهرة على التناقض العجيب الذي كان المشركون واقعين فيه. ففي الوقت الذي كانوا يكذبونه ويرونه ساحرا أو مخادعا لم يكونوا يجدون من حولهم من هو خير منه أمانة وصدقا، فكانوا لا يضعون حوائجهم وأمواهم التي يخافون عليها إلا عنده! .. وهذا يدل على أن كفرانهم لم يكن بسبب الشك لديهم في صدقه، وإنما هو بسبب تكبرهم واستعلائهم على الحق الذي جاء به خوفا على زعامتهم وطغيانهم من اتباعه.

٤- ثم إننا نلمح في النشاط الذي كان يبذله عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه، ذاهبا آيبا بين الغار ومكة، يتحسس الأخبار وينقلها إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبيه، وفيما بدا على أخته أسماء رضي الله عنها من مظاهر الاهتمام والجد في تهيب الزاد والراحلة واشتراكها في إعداد العدة لتلك الرحلة، نلمح في ذلك صورة مما يجب أن يكون عليه الشباب المسلم ذكورا وإناثا في سبيل الله عز وجل ومن أجل تحقيق مبادئ الإسلام وإقامة المجتمع الإسلامي. فلا يكفي أن يكون الإنسان منطويا على نفسه مقتصرًا على عباداته، بل عليه أن يستنفد طاقاته وأوجه نشاطه كلها سعيا في سبيل الإسلام. وتلك هي مزية الشباب في حياة الإسلام والمسلمين في كل زمن وعصر.

٥- أمّا ما حدث لسراقة وفرسه وهو يلحق برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فينبغي أن لا يفوتنا أنها معجزة خارقة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتفق أئمة الحديث على صحتها ونقلها. وفي مقدمتهم البخاري ومسلم.

٦- ومن أبرز المعجزات الخارقة في قصة هجرته عليه الصلاة والسلام خروجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بيته وقد أحاط به المشركون يترصدون به ليقتلوه، فقد علق النوم بأعينهم جميعا حتى لم يحس به أحد منهم، وكان من تنمة السخرية بتأمرهم على حياته ما امتلأت به رؤوسهم من التراب الذي ألقاه رسول الله عليها إذ خرج من بينهم وهو يتلو قوله تعالى: **وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ** [يس ٣٦ / ٨]

لقد كانت هذه المعجزة بمثابة الإعلان لهؤلاء المشركين وغيرهم في كل عصر ووقت، بأن ما قد يلاقيه الرسول وصحبه من ألوان الاضطهاد والعذاب على أيديهم مدة من الزمن في سبيل دينه، لا يعني أن الله قد تخلى عنهم وأن النصر قد ابتعد عن متناولهم. فلا ينبغي للمشركين وسائر أعداء الدين أن يفرحوا ويستبشروا بذلك، فإن نصر الله قريب وإن وسائل هذا النصر توشك أن تتحقق بين كل لحظة وأخرى.

قدوم قباء:

ووصل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قباء، فاستقبله من فيها وأقام فيها بضعة أيام نازلا على كلثوم بن هدم، حيث أدركه فيها علي رضي الله عنه بعد أن أدّى عنه الودائع إلى أصحابها. وأسس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هناك مسجد قباء، وهو المسجد الذي وصفه الله بقوله: (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ.. الآية) [التوبة ٩ / ١٠٨] .

دخول يثرب:

ثم واصل سيره إلى المدينة فدخلها لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول على ما ذكره المسعودي فالتقت من حوله الأنصار، كل يمسك زمام راحلته يرجو النزول عنده فكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لهم: «دعوها فإنها مأمورة» ، فلم تزل راحلته تسير في فجاج المدينة وسككها حتى وصلت إلى مربد لغلامين يتيمين من بني النجار أمام دار أبي أيوب الأنصاري، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ههنا المنزل إن شاء الله» . وجاء أبو أيوب فاحتمل الرجل إلى بيته.

فقه السيرة:

وتكشف لنا الصورة التي استقبلت بها المدينة المنورة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن مدى المحبة الشديدة التي كانت تفيض بها أفئدة الأنصار من أهل المدينة رجالا ونساء وأطفالا. لقد كانوا يخرجون كل يوم إلى ظاهر المدينة ينتظرون تحت لفح الشمس وصول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم، حتى إذا هبّ النهار ليدبر، عادوا أدراجهم ليعودوا إلى الانتظار صباح اليوم الثاني، فلما طلع الرسول عليهم جاشت العواطف في صدورهم وانطلقت ألسنتهم تهتف بالقصائد والأهازيج فرحا لمراه عليه الصلاة والسلام ومقدمه عليهم، ولقد بادهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المحبة ذاتها.

يدلنا كل ذلك أن محبة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليست في مجرد الاتباع له، بل المحبة له هي أساس الاتباع وبعثه، فلولا المحبة العاطفية في القلب لما وجد وازع يحمل على الاتباع في العمل.

ولقد ضلّ قوم حسبوا أن محبة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس لها معنى إلا الاتباع والافتداء. وفاتهم أن الافتداء لا يأتي إلا بوازع ودافع، ولن تجد من وازع يحمل على الاتباع إلا المحبة القلبية التي تهز المشاعر وتستبد بالعواطف. ولذلك جعل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مقياس الإيمان بالله امتلاء القلب بمحبته عليه الصلاة والسلام، بحيث تغدو متغلبة على محبة الولد والوالد والناس أجمعين. وهذا يدلّ على أن محبة الرسول من جنس محبة الوالد والولد أي مصدر كل منهما العاطفة والقلب وإلا لم تصح المقارنة والمفاضلة بينهما.

أسس المجتمع الجديد:

لقد كانت هجرة رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلى المدينة، تعني نشأة أول دار إسلام إذ ذاك على وجه الأرض، وقد كان ذلك إيذاناً بظهور الدولة الإسلامية بإشراف منشئها الأول محمد عليه الصلاة والسلام.

ولذا فقد كان أول عمل قام به الرسول صلّى الله عليه وسلم، أن أقام الأسس الهامة لهذه الدولة ولقد كانت هذه الأسس ممثلة في هذه الأعمال الثلاثة التالية:

أولاً: بناء المسجد.

ثانياً: المؤاخاة بين المسلمين عامة والمهاجرين والأنصار خاصة.

ثالثاً: كتابة وثيقة (دستور) حددت نظام حياة المسلمين فيما بينهم، وأوضحت علاقتهم مع غيرهم بصورة عامة واليهود بصورة خاصة.

وسنبداً، فننتحدث عن بناء المسجد أولاً:

«قلنا فيما مضى: إن ناقته صلّى الله عليه وسلم بركت في موضع كان لغلامين يتيمين من الأنصار، وكان أسعد بن زرارة قد اتخذه مصلياً قبل هجرة رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلى المدينة، فكان يصلّي بأصحابه فيه. فأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلم أن يبني ذلك الموضع مسجداً، ودعا الغلامين - وكانا في كفالة أسعد بن زرارة رضي الله عنه - فسام رسول الله صلّى الله عليه وسلم فيه، فقالوا: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله صلّى الله عليه وسلم حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير .

وكان فيه شجر غرقد ونخل وقبور قديمة لبعض المشركين، فأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالقبور فنبشت وبالنخيل والشجر فقطعت، وصوّت في قبلة المسجد، وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلم يباشر البناء مع أصحابه وينقل معهم الحجارة بنفسه، وجعل قبلته إلى بيت المقدس،

وجعل عمدته الجذوع، وسقفه بالجريد. وقيل له: «ألا نسقفه؟». فقال: «عريش كعريش موسى: خشيبات وثمام- نبت ضعيف قصير- الشأن أعجل من ذلك» أما أرضه، فقد بقيت مفروشة بالرمال والحصباء.

وقد ظل مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذا الشكل دون أي زيادة أو تغيير فيه مدة خلافة أبي بكر رضي الله عنه، ثم زاد فيه عمر رضي الله عنه بعض التحسين. ولكنه بناه على بنائه في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باللبن والجريد وأعاد عمدته خشبا. ثم غيره عثمان رضي الله عنه، فزاد فيه زيادة كبيرة، وبني جداره بالحجارة المنقوشة والقصة (الخص).

العبر والدلائل:

نأخذ من هذا الذي ذكرناه دلائل هامة نجملها فيما يلي:

١- مدى أهمية المسجد في المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية:

فقد أقبل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بمجرد وصوله إلى المدينة المنورة واستقراره فيها، على إقامة مجتمع إسلامي راسخ متماسك، يتألف من هؤلاء المسلمين، الأنصار والمهاجرين الذين جمعتهم المدينة المنورة. فكان أول خطوة قام بها في سبيل هذا الأمر: بناء المسجد.

ولا غرو ولا عجب، فإن إقامة المسجد أول وأهم ركيزة في بناء المجتمع الإسلامي، ذلك أن المجتمع المسلم إنما يكتسب صفة الرسوخ والتماسك بالتزام نظام الإسلام وعقيدته وآدابه. وإنما ينبع ذلك كله من روح المسجد ووحيه.

إن من نظام الإسلام وآدابه شيوع أصرة الأخوة والمحبة بين المسلمين. ولكن شيوع هذه الأصرة لا يتم إلا في المسجد، فما لم يتلاق المسلمون يوميا، على مرات متعددة في بيت من بيوت الله، وقد تساقطت مما بينهم فوارق الجاه والمال والاعتبار، لا يمكن لروح التآلف والتآخي أن تؤلف بينهم.

فمن أجل تحقيق هذه المعاني كلها في مجتمع المسلمين ودولتهم الجديدة، أسرع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل كل شيء فبادر إلى بناء المسجد.

٢- حكم التعامل مع من لم يبلغوا سن الرشد من الأطفال والأيتام:

استدل بعض الفقهاء وهم الحنفية بهذا الحديث على صحة تصرف غير البالغ، ووجه الدلالة على ذلك أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشترى المرید من الغلامين اليتيمين، بعد أن ساومهما، ولو لم يصح تصرفهما لما اشترى منهما.

غير أن الذين ذهبوا إلى عدم صحة تصرف غير البالغ سن الرشد - وهم جمهور الفقهاء - استدلوا بقوله تعالى: (وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) [الأنعام ٦/ ١٥٢] ، أما حديث شراء المرید فيجاء عنه بجوابين:

أولهما: أنه جاء في رواية ابن عيينة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلم عمهما اللذين كانا في حجره وكفالتهم وابتاعهم منهما بواسطته فلا حجة فيه لما ذهب إليه الحنفية.

ثانيهما: أن للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولاية في مثل هذه الأمور، وأنه عليه الصلاة والسلام إنما اشترى الأرض منهما بوصف كونه وليا عاما لجميع المسلمين، لا بوصف كونه فردا منهم.

٣- جواز نبش القبور الدارسة، واتخاذ موضعها مسجدا إذا نظفت وطابت أرضها.

٤- حكم تشييد المساجد ونقشها وزخرفتها: والتشييد أن تقام عمارة المسجد بالحجارة وشبهها مما يزيد في قوة بنائه ومتانة سقفه وأركانه، والنقش والزخرفة ما جاوز أصل البناء من شتى أنواع الزينة.

فأما التشييد فقد أجازته واستحسنه العلماء عامة، بدليل ما فعله عمر وعثمان رضي الله عنهما من إعادة بناء مسجده عليه الصلاة والسلام. وأما النقش والزخرفة، فقد أجمع العلماء على كراهتهما، ثم هم في ذلك بين محرم ومكروه كراهة تنزيه، غير أن الذين قالوا بالحرم والذين قالوا بالكراهة اتفقوا على أنه يحرم صرف المال الموقوف لعمارة المساجد على شيء من الزخرفة والنقش، أما إذا كان المال المصروف على ذلك من الباني نفسه فيرد الخلاف فيه، وقد ذكر الزركشي نقلا عن الإمام البغوي أنه لا يجوز نقش المسجد من غلة الوقف، ويغرم القيم إن فعله، فلو فعله رجل بماله كره لأنه يشغل قلب المصلين.

والفرق بين عموم التشييد وخصوص الزخرفة والنقش واضح.

فالأول كما قلنا لا يترتب عليه وصف أو معنى يخل بالحكمة التي من أجلها شرع بناء المسجد أما الزخرفة والنقش فإن كلاً منهما يترتب عليه معنى يخل بالحكمة، إذ من شأنه صرف قلوب المصلين عن الخشوع والتدبر وشغلها بمظاهر الدنيا، على حين يقصد من الدخول في المسجد الهرب من التصورات الدنيوية وتفريغ البال من زينتها ومغرياتها.

الأساس الثاني (الأخوة بين المسلمين)

ثم إن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخَى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، آخَى بينهم على الحق والمواساة، وعلى أن يتوارثوا بينهم بعد الممات، بحيث يكون أثر الأخوة الإسلامية في ذلك أقوى من أثر قرابة الرحم.

فجعل جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل أخوين، وجعل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة أخوين، وجعل أبا بكر الصديق رضي الله عنه وخارجة بن زهير أخوين، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين..

العبر والدلائل:

وهذا هو الأساس الثاني الذي اعتمده رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سبيل بناء المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية. وإن أهمية هذا الأساس تظهر في الجوانب التالية:

أولاً: إن أي دولة لا يمكن أن تنهض وتقوم إلا على أساس من وحدة الأمة وتساندها، ولا يمكن لكل من الوحدة والتساند أن يتم بغير عامل التآخي والمحبة المتبادلة. فكل جماعة لا تؤلف بينها آصرة المودة والتآخي الحقيقية، لا يمكن أن تتحد حول مبدأ ما، وما لم يكن الاتحاد حقيقة قائمة في الأمة أو الجماعة فلا يمكن أن تتألف منها دولة.

على أن التآخي أيضاً لا بد أن يكون مسبقاً بعقيدة يتم اللقاء عليها والإيمان بها، فالتآخي بين شخصين يؤمن كل منهما بفكرة أو عقيدة مخالفة للأخرى، خرافة ووهم، خصوصاً إذا كانت تلك الفكرة أو العقيدة مما يحمل صاحبها على سلوك معين في الحياة العملية.

ومن أجل ذلك، فقد جعل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أساس الأخوة التي جمع عليها أفئدة أصحابه، العقيدة الإسلامية التي جاءهم بها من عند الله تعالى والتي تضع الناس كلهم في مصاف العبودية الخالصة لله تعالى دون الاعتبار لأي فارق إلا فارق التقوى والعمل الصالح، إذ ليس من المتوقع أن يسود الإخاء والتعاون والإيثار بين أناس شتتتهم العقائد والأفكار المختلفة فأصبح كل منهم ملكاً لأنانيته وأثرته وأهوائه.

ثانياً: إن المجتمع - أي مجتمع - إنما يختلف عن مجموعة ما من الناس منتشرة متفككة، بشيء واحد، هو قيام مبدأ التعاون والتناصر فيما بين أشخاص هذا المجتمع، وفي كل نواحي الحياة ومقوماتها، فإن كان هذا التعاون والتناصر قائمين طبق ميزان العدل والمساواة فيما بينهم، فذلك هو المجتمع العادل السليم، وإن كانا قائمين على الحيف والظلم، فذلك هو المجتمع الظالم والمنحرف.

الأساس الثالث (كتابة وثيقة بين المسلمين وغيرهم)

وهذا الأساس هو أهم ما قام به النبي عليه الصلاة والسلام مما يتعلق بالقيمة الدستورية للدولة الجديدة. روى ابن هشام أن النبي عليه الصلاة والسلام لم تمض له سوى مدة قليلة في المدينة حتى اجتمع له إسلام عامة أهل المدينة من العرب، ولم يبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها، عدا أفراداً من قبيلة الأوس، فكتب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم.

ونحن لن نأتي بنص الكتاب كله، فهو طويل، ولكننا نجتزئ منه البنود الهامة بنصوصها الواردة في كتابه عليه الصلاة والسلام، كي نقف من ورائها على مدى القيمة الدستورية للمجتمع الإسلامي ودولته الناشئة في المدينة. وهذه هي البنود مرتبة حسب ترتيبها في نص الكتاب نفسه:

- ١- المسلمون من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أمة واحدة من دون الناس.
- ٢- هؤلاء المسلمون جميعاً على اختلاف قبائلهم يتعاقلون بينهم، ويفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
- ٣- إن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه في فداء أو عقل.
- ٤- إن المؤمنين المتقين، على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم.
- ٥- لا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن.
- ٦- إن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم.
- ٧- ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدانهم، والمؤمنون بعضهم مولي بعض دون الناس ٨- لا يحل لمؤمن أقرّ بما في الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً أو أن يؤويه، وإن من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة لا يؤخذ منه صرف ولا عدل.
- ٨- اليهود ينفقون مع اليهود ما داموا محاربين.

٩- يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

١٠- إن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم. وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

١١- كل ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله.

١٢- من خرج من المدينة آمن ومن قعد آمن، إلا من ظلم وأثم.

١٣- إن الله على أصدق ما في الصحيفة وأبره، وإن الله جار لمن برّ واتقى.

العبر والدلائل:

لهذه الوثيقة دلالات هامة تتعلق بمختلف الأحكام التنظيمية للمجتمع الإسلامي. ونلخصها فيما يلي:

١- إن كلمة (الدستور) هي أقرب إطلاق مناسب في اصطلاح العصر الحديث على هذه الوثيقة. وهي إذا كانت بمثابة إعلان دستور فإنه شمل جميع ما يمكن أن يعالجه أي دستور حديث يعني بوضع الخطوط الكلية الواضحة لنظام الدولة في الداخل والخارج؛ أي فيما يتعلق بعلاقة أفراد الدولة بعضهم مع بعض، وفيما يتعلق بعلاقة الدولة مع الآخرين.

٢- وحسبنا هذا الدستور الذي وضعه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم بوحى من ربه واستكتبه أصحابه، ثم جعله الأساس المتفق عليه فيما بين المسلمين وجيرانهم اليهود.

٣- إن هذه الوثيقة تدل على مدى العدالة التي اتسمت بها معاملة النبي صَلَّى الله عليه وسلم لليهود، ولقد كان بالإمكان أن تؤتي هذه المسألة العدالة ثمارها فيما بين المسلمين واليهود، لو لم تتغلب على اليهود طبيعتهم من حب للمكر والغدر والخديعة، فما هي إلا فترة وجيزة حتى ضاقوا ذرعاً بما تضمنته بنود هذه الوثيقة التي التزموا بها، فخرجوا على الرسول والمسلمين بألوان من الغدر والخيانة، فكان المسلمون بذلك في حل مما التزموا به تجاههم.

٤- دلت هذه الوثيقة على أحكام هامة في الشريعة الإسلامية نذكر منها ما يلي:

أولاً: يدلنا البند الأول منها على أن الإسلام هو وحده الذي يؤلف وحدة المسلمين وهو وحده الذي يجعل منهم أمة واحدة، وعلى أن جميع الفوارق والمميزات فيما بينهم تذوب وتضمحل ضمن نطاق هذه الوحدة الشاملة، تفهم هذا جلياً واضحاً من قوله عليه الصلاة والسلام:

«المسلمون من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أمة واحدة من دون الناس» وهو أول أساس لا بد منه لإقامة مجتمع إسلامي متماسك سليم.

ثانيا: يدلنا البند الثاني والثالث على أن من أهم سمات المجتمع الإسلامي ظهور معنى التكافل والتضامن فيما بين المسلمين بأجلى صورته وأشكاله، فهم جميعا مسؤولون عن بعضهم في شؤون دينهم وآخرتهم. وإن عامة أحكام الشريعة الإسلامية إنما تقوم على أساس هذه المسؤولية، وتحدد الطرائق التنفيذية لمبدأ التكافل والتضامن فيما بين المسلمين. ثالثا: يدل البند السابع على مدى الدقة في المساواة بين المسلمين لا من حيث أنها شعار براق للزينة والعرض، بل من حيث أنها ركن من الأركان الشرعية الهامة للمجتمع الإسلامي، يجب تطبيقه بأدق وجه وأتم صورة، وحسبك مظهرا لتطبيق هذه المساواة بين المسلمين ما قرره النبي صلى الله عليه وسلم في هذا البند بقوله: «ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم» ومعنى ذلك أن ذمة المسلم أيا كان محترمة، وجواره محفوظ لا ينبغي أن يجار عليه فيه، فمن أدخل من المسلمين أحدا في جواره، فليس لغيره حاكما أو محكوما أن ينتهك حرمة جواره هذا، والمرأة المسلمة لا تختلف في هذا عن الرجل إطلاقا، فلجوارها- أيا كانت- من الحرمة ما لا يستطيع أن ينتهكه أي إنسان مهما علت رتبته وبلغت منزلته، وذلك بإجماع عامة العلماء، وأئمة المذاهب، غير أنه يشترط لذلك شروط معينة ذكرها الفقهاء كأن لا تكون إجارة تضر بالمسلمين كإجارة جاسوس، وأن تكون لعدد محصور، وأن تكون لمدة محدودة بحيث لا تزيد على أربعة أشهر .

رابعا: يدلنا البند الثاني عشر على أن الحكم العدل الذي لا يجوز للمسلمين أن يهرعوا إلى غيره، في سائر خصوماتهم وخلافاتهم وشؤونهم إنما هو شريعة الله تعالى وحكمه، وهو ما تضمنه كتاب الله تعالى وسنة رسوله. ومهما بحثوا عن الحلول لمشكلاتهم في غير هذا المصدر فهم آثمون، معرضون لأنفسهم للشقاء في الدنيا وعذاب الله تعالى في الآخرة. تلك هي أربعة أحكام انطوت عليها هذه الوثيقة التي أقام عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم الدولة الإسلامية في المدينة، وجعلها منهاجا لسلوك المسلمين في مجتمعهم الجديد، وإن فيها لأحكام هامة أخرى لا تحفى لدى التأمل والنظر فيها.

ومن تطبيق هذه الوثيقة، والاهتداء بما فيها، والتمسك بأحكامها، قامت تلك الدولة على أمتن ركن وأقوى أساس، ثم انتشرت قوية راسخة في شرق العالم وغربه تقدم للناس أروع ما عرفته الإنسانية من مظاهر الحضارة والمدنية الصحيحة.

بدء القتال (فقه الغزوات):

غزوة بدر:

اسم الغزوة	تاريخها	الطرف الاول	الطرف الثاني	مكان الغزوة	سبب الغزوة	النتيجة
غزوة بدر	السنة الثانية من الهجرة	المسلمين	قريش	في بدر ما بين مكة والمدينة	كانت قافلة قادمه من الشام فيها عير عظيمة لقريش بإشراف ابي سفيان فلما سمع الرسول ﷺ بها نذب المسلمين إليها ليأخذوها لقاء ما تركوا من اموالهم في مكة وبلغ ابو سفيان مخرج الرسول ﷺ وقصده اياه فأرسل إلى مكة مستصرخا فتجهزوا سراعاً وخرجوا قاصدين الغزو .	انتصار المسلمين وهزيمة الكفار . قتل من الكفار ٧٠ ومنهم أبو جهل وأسر ٧٠

العبر والعظات:

تنطوي غزوة بدر الكبرى على دروس وعظات جلية، كما تتضمن معجزات باهرة تتعلق بتأييد الله ونصره للمؤمنين المتمسكين بمبادئ إيمانهم المخلصين في القيام بمسؤوليات دينهم.

ونحن نجمل هذه الدلائل والدروس فيما يلي:

١- يدلنا السبب الأول لغزوة بدر أن الدافع الأصلي لخروج المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يكن القتال والحرب، وإنما كان الدافع قصد الاستيلاء على عير قريش القادمة من

الشام تحت إشراف أبي سفيان، غير أن الله تبارك وتعالى أراد لعباده غنيمة أكبر، ونصرا أعظم، وعملا أشرف وأكثر انسجاما مع الغاية التي ينبغي أن يقصدها المسلم في حياته كلها، فأبعد عنهم العير التي كانوا يطلبونها، وأبدلهم بما نفيرا لم يكونوا يتوقعونه.

٢- وعندما نتأمل كيف يجلس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أصحابه ليشاورهم في الأمر الذي فوجئوا به بعد أن أفلت منهم العير وطلع عليهم النفير العظيم المدجج بالسلاح الكامل، دليل على التزامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمبدأ التشاور مع أصحابه.

٤- يجوز للإمام أن يستعين في الجهاد وغيره بالعيون والمراقبين، يبتهم بين الأعداء ليكتشف المسلمون خططهم وأحوالهم وليتبينوا ما هم عليه من قوة في العدة والعدد. ويجوز اتخاذ مختلف الوسائل لذلك، بشرط أن لا تنطوي الوسيلة على الإضرار بمصلحة هي أهم من مصلحة الاطلاع على حال العدو، وربما استلزمت الوسيلة تكتما أو نوعا من المخادعة أو التحايل.

٥- (أقسام تصرفاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : ويدلنا الحديث الذي جرى بين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والحباب بن المنذر في شأن المكان الذي نزل فيه (وهو حديث صحيح الإسناد كما رأيت) أن تصرفات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليست كلها من نوع التشريع، بل هو في كثير من الأحيان يتصرف من حيث إنه بشر من الناس يفكر ويدبر كما يفكر غيره، ولا ريب أننا لسنا ملزمين باتباعه في مثل هذه التصرفات، فمن ذلك نزوله عليه الصلاة والسلام في المكان الذي اختاره في هذه الغزوة. فقد وجدنا كيف أن الحباب أشار بالتحول عنه إلى غيره ووافق عليه الصلاة والسلام في ذلك، وذلك بعد أن استوثق الحباب رضي الله عنه أن اختيار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لذلك المكان ليس بوحى من عند الله.

ومن ذلك كثير من تصرفاته التي تدخل تحت السياسة الشرعية والتي يتصرف فيها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حيث إنه إمام ورئيس دولة لا من حيث إنه رسول يبلغ عن الله تعالى، مثل كثير من عطاءاته وتدابيره العسكرية. وللفقهاء تفصيل واسع في هذا البحث، لا مجال لعرضه في هذا المقام.

٦- (أهمية التضرع لله وشدة الاستعانة به) : لقد رأينا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يطمئن أصحابه بأن النصر لهم، حتى إنه كان يشير إلى أماكن متفرقة في الأرض ويقول: «هذا مصرع فلان»، ولقد وقع الأمر كما أخبر عليه الصلاة والسلام، فما ترحح أحد في مقتله عن موضع يده كما ورد في الحديث الصحيح.

ومع ذلك فقد رأيناه يقف طوال ليلة الجمعة في العرش الذي أقيم له، يجأر إلى الله تعالى داعياً ومتضرعاً، باسطاً كفيه إلى السماء يناشد الله عزّ وجلّ أن يؤتبه نصره الذي وعد حتى سقط عنه رداؤه وأشفق عليه أبو بكر، والتزمه قائلاً: «كفى يا رسول الله، إن الله منجز لك ما وعد». فلماذا كل هذه الضراعة ما دام أنه مطمئن إلى درجة أنه قال: «لكأني أنظر إلى مصارع القوم»، وأنه حدّد مصارع بعضهم على الأرض؟

والجواب؛ أن اطمئنان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإيمانه بالنصر، إنما كان تصديقاً منه للوعد الذي وعد الله به رسوله، ولا شك أن الله لا يخلف الميعاد، وربما أوحى إليه بخبر النصر في تلك الموقعة.

أما الاستغراق في التضرع والدعاء وبسط الكف إلى السماء، فتلك هي وظيفة العبودية التي خلق من أجلها الإنسان، وذلك هو ثمن النصر في كل حال.

فما النصر - مهما توفرت الوسائل والأسباب - إلا من عند الله وبتوقيفه، والله عزّ وجلّ لا يريد ممّا إلا أن نكون عبيداً له بالطبع والاختيار، وما تقرب متقرب إلى الله بصفة أعظم من صفة العبودية، وما استأهل إنسان بواسطة من الوسائل استجابة دعاء من الله تعالى، كما استأهل ذلك بواسطة ذلّ العبودية يتزوّى ويتبرقع به بين يدي الله تعالى.

٧- (الإمداد بالملائكة في غزوة بدر) : انطوت بدر على معجزة من أعظم معجزات التأييد والنصر للمسلمين الصادقين. فقد أمدّ الله المسلمين فيها بملائكة يقاتلون معهم.

٨- (الحياة البرزخية للأموات) : في وقوف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على فم القليب ينادي قتلى المشركين ويكلمهم بعدما ماتوا، دليل واضح على أن للميت حياة روحية خاصة به، لا ندري حقيقتها وكيفيتها، ومن هنا يتصور معنى عذاب القبر ونعيمه، غير أن ذلك كله إنما يخضع لموازن لا تنضب بعقولنا وإدراكاتنا الدنيوية هذه، إذ هو مما يسمى بعالم الملكوت البعيد عن مشاهداتنا وتجاربنا العقلية والمادية. فطريق الإيمان بها إنما هو التسليم لها بعد أن تصلنا بطريق ثابت صحيح.

غزوة احد

اسم الغزوة	تاريخها	الطرف الاول	الطرف الثاني	مكان الغزوة	سبب الغزوة	النتيجة
غزوة احد.	السنة الثالثة من الهجرة .	قريش وأحلافهم عددهم : ثلاثة الاف .	المسلمين عددهم : سبعة مائة رجل .	نزلوا حول جبل عينين في المدينة .	لما أصيب يوم بدر كفار قريش اصحاب القلب رجعوا الى مكة فأخبروا ابا سفيان ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة بان يتعاونوا بهذا المال على حرب النبي صلى الله عليه وسلم .	انتصار المسلمين في الامر ولكن بعد مخالفة الرماة لأمر الرسول انتهى المطاف بانتصار الكفار وهزيمة المسلمين.

العبر والعظات:

أولاً: يتجلى هنا أيضاً المبدأ الذي كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم يأخذ به نفسه، وهو التزام التشاور مع أصحابه في كل أمر يحتمل المشاورة والبحث.

ثانياً: للمنافقين في هذه الغزوة مشهد بارز.. ولم لا يكون مشهدهم بارزاً فيها، وهي إنما انطوت على حكم ومقاصد، من أهمها تمحيص المؤمنين عن أخلاطهم من المنافقين؟ وإن من وراء ذلك لفوائد كبيرة للمسلمين كانت ذخراً لهم فيما بعد.

لقد رأينا كيف انخزل عبد الله بن أبي بن سلول بثلاث مئة من أتباعه عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم وأصحابه، بعد خروجهم من المدينة، وسبب ذلك في ظاهر ما تدرج به: أنّ النبي صَلَّى الله عليه وسلم إنما أخذ برأي الشبان الأغرار، ولم يأخذ برأي أمثاله من الشيوخ أرباب الحجى والأحلام. غير أن سبب ذلك في الحقيقة وواقع الأمر، هو أنه لا يريد قتالاً. لأنه لا يريد أن يعرض نفسه لمخاوفه.

ثالثاً: أن النبي صَلَّى الله عليه وسلم لم يشأ أن يستعين بغير المسلمين في هذه الغزوة، على الرغم من قلة عدد المسلمين، وقال فيما روى ابن سعد في طبقاته: «لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك» .

وقد روى مسلم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لرجل تبعه في يوم بدر ليقاتل معه: «أتؤمن بالله؟ قال: لا، قال: فارجع فلن أستعين بمشرك». .

رابعاً: ومما يجدر التأمل فيه، حال سمرة بن جندب ورافع بن خديج، وهما طفلان لا يزيد عمر كل منهما على خمس عشرة سنة، وكيف جاءا يناشدان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يسمح لهما بالاشتراك في القتال، وأي قتال؟! . قتال قائم على التأهب للموت، لا تجد فيه أي معنى من التعادل بين الفريقين: المسلمون وعددهم لا يزيد على سبع مئة، والمشركون وهم يتجاوزون ثلاثة آلاف مقاتل.

خامساً: حنكة النبي صلى الله عليه وسلم وبراعته العسكرية، فإذا تأملت حال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو ينظم صفوف أصحابه ويرتب أجنتهم، ويضع الحامية اللازمة في مؤخرة المسلمين، ويأمر الرماة أن لا يغادروا أماكنهم مهما وجدوا من أمر إخوانهم المقاتلين حتى يتلقوا الأوامر منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اتضح لك دليل جلي على خبرته العسكرية.

سادساً: إذا تأملنا مدة الحرب التي استمرت بين المسلمين وأعدائهم في هذه الغزوة وجدناها تنقسم إلى شطرين:

الشرط الأول: وفيه التزم المسلمون أماكنهم وأوامرهم التي كانوا قد تلقوها من قائدهم عليه الصلاة والسلام، فما الذي كان من ثمرة ذلك؟ لقد سارع النصر إلى المسلمين، وسارعت الهزيمة إلى صفوف المشركين، وما هو إلا أن اكتسح الرعب أفئدة الآلاف الثلاثة فأنحسروا عن أماكنهم وأخذوا يولون الأدبار، وهذا الشرط هو الذي علقت عليه الآية الكريمة في قوله تعالى: (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ) [آل عمران ٣ / ١٥٢] .

الشرط الثاني: وفيه أخذ المسلمون ينطلقون خلف المشركين ليجهزوا على من يدركونه منهم، وليأخذوا الغنائم والأسلاب، وحينئذ نظر الرماة من فوق الجبل الذي كانوا يتمركزون فيه، إلى إخوانهم وهم يضعون السيوف في أعدهم اللاتئين بالفرار ويعودون بالأموال والغنائم، فرغب بعضهم أن يشتركوا معهم في الغنيمه، وخيلت إليهم هذه الرغبة أن الفترة الزمنية للأوامر التي تلقوها من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد انتهت، فهم في حلّ منها وهم في غنى عن انتظار إذن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم بمغادرة أماكنهم وهو اجتهاد خالفهم فيه بعض زملائهم وفي مقدمتهم أميرهم عبد الله بن جبير، ولكن أصحاب هذا الاجتهاد نزلوا وانطلقوا يشاركون في أخذ الغنائم. فما الذي كان من نتيجة ذلك؟ لقد كان أن انقلب الرعب الذي داهم أفئدة المشركين إلى استبسال جديد! .. وكان أن تفتحت أسباب الخيلة والمكر لدى خالد بن الوليد الذي كان يولي هاربا، فنظر حوله متأملا، فوجد الجبل المحصن قد خلا من حماه وحراسه، فلمعت الفكرة العسكرية في رأسه، وما هو إلا أن استدار إلى الجبل مع من معه

من المشركين، فقتلوا من بقي ممن لم ينزل وأوجعوا المسلمين رميا بالسهام من خلفهم.. وجاء الرعب هذه المرة ليغزو أفئدة المسلمين كما رأينا. وهذا الشطر من المعركة هو الذي علقت عليه الآية الكريمة في قوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ، وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَأَيْتُمْ مَا يُحِبُّونَ، مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ، ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ) [آل عمران ٣ / ١٥٢] .

وانظر! .. كم كان وبال هذه الخطيئة جسيما، وكم كانت نتيجتها عامة! ..

لقد عادت خطيئة أفراد قليلين في جيش المسلمين، بالوبال عليهم جميعا، بحيث لم ينج حتى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، من نتائجها، وتلك هي سنة الله في الكون، لم يمنعها من الاستمرار أن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم موجود في ذلك الجيش، وأنه أحب الخلق إلى ربه جلّ جلاله.

فتأمل أنت في نسبة خطيئة أولئك الأفراد، إلى أخطاء المسلمين المتنوعة اليوم، والمتعلقة بشتى نواحي حياتنا العامة والخاصة. تأمل هذا للتصور مدى لطف الله بالمسلمين إذ لا يهلكهم بما تكسب أيديهم، وبتقاعسهم حتى عن أداء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاجتماع في كلمة واحدة على ذلك.

وإذا تأملت في هذا، علمت الجواب عن سؤال بعضهم اليوم، عن الحكمة من أن الشعوب الإسلامية تظل مغلوبة على أمرها، أمام الدول الباغية الأخرى، على الرغم من أن هؤلاء كفرة وأولئك مسلمون.

ثامنا: لقد رأينا أن النبي صَلَّى الله عليه وسلم أودى كثيرا في هذه الفترة، فوقع لشقه، وشج رأسه، وكسرت ربايعيته، وساح الدم غزيرا في وجهه، وكل ذلك جزء من نتائج تلك الخطيئة.. خطيئة أولئك المسلمين في الخروج على أوامر القائد.

غزوة الأحزاب (الخنديق):

العبر والعظات:

اسم الغزوة	تاريخها	الطرف الأول	الطرف الثاني	مكان الغزوة	سبب الغزوة	النتيجة
غزوة الخندق (الأحزاب)	السنة الخامسة من الهجرة	المسلمون عدددهم: ثلاثة آلاف	قريش واليهود عدددهم: عشرة آلاف	المدينة	تجمع أحزاب من اليهود وقريش لمحاربة النبي صلى الله عليه وسلم فعلم المسلمون فاستعدوا لهم .	انتصار المسلمين . دب الفتنة بين اليهود وكفار قريش مما أدى لتفرقهم وهزيمتهم . فشل الأحزاب في محاولتهم اقتحام الخندق .

وهذه الغزوة أيضا قامت على أساس من غدر اليهود وكيدهم، فهم الذين أثاروا، وألبوا، وجمعوا الجموع والأحزاب، ولم يتوقف ذلك على بني النضير الذين كانوا قد أخرجوا من المدينة، بل اشترك معهم بنو قريظة الذين كانوا لا يزالون مرتبطين بعهود ومواثيق مع المسلمين، دون أن يجدوا منهم أي مكروه من شأنه أن يدعوهم إلى نقض تلك العهود والمواثيق! أما العبر والعظات:

أولا: لقد كان من جملة الوسائل الحربية التي استعملها المسلمون في هذه الغزوة حفر الخندق، ولقد كانت غزوة الأحزاب أول غزوة في التاريخ العربي والإسلامي يحفر فيها الخنادق، إذ هو مما كان متعارفا بين الأعاجم فقط، والذي اقترح ذلك في غزوة الأحزاب إنما هو سلمان الفارسي، وقد رأيت أن النبي صلى الله عليه وسلم أعجب بهذه الوسيلة الحربية وسرعان مادعا أصحابه إلى القيام بتحقيقها.

وهذا من جملة الأدلة الكثيرة التي تدل على أن الحكمة هي ضالة المؤمن، فحيثما وجدها التقطها بل هو أولى بها من غيره، وأن الشريعة الإسلامية بمقدار ما تكره للمسلمين اتباع غيرهم وتقليدهم على غير بصيرة، تحب لهم أن يجمعوا لأنفسهم أطراف الخير كله والمبادئ المفيدة جميعها، أينما لاح لهم ذلك، وحيثما وجد.

ثانيا: وفي مشهد عمل الصحابة مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم في حفر الخندق، عبرة بالغة كبرى، توضح لك حقيقة المساواة التي يرسبها المجتمع الإسلامي بين جميع أفراد المسلمين.

رابعا: كيف وبأي وسيلة انتصر المسلمون وانهمز المشركون في هذه الغزوة؟ إن الوسيلة التي التجأ إليها رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم وأصحابه في غزوة بدر، هي نفسها التي التجأ إليها في الخندق.. إنها وسيلة التضرع إلى الله والإكثار من الإقبال عليه بالدعاء والاستغاثة، بل لقد كان هو العمل المتكرر الدائم الذي ظل يفرع إليه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، كلما لقي عدوا أو سار إلى جهاد، وهي الوسيلة التي تعلقو في تأثيرها على كل الأسباب والوسائل المادية الأخرى، وهي الوسيلة التي لا تصلح حال المسلمين إلا إذا قامت على أساسها بعناية كاملة.

أما كيف انهمز المشركون على كثرتهم، بعد ثبات المؤمنين وصبرهم وصدق التجائهم إلى الله تعالى، فقد وصف الله الكيفية في كتابه المبين إذ قال:

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا، إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا) [الأحزاب ٣٣ / ٩ - ٢٥] .

إن هذا المعنى الذي يتكرر في غزوات الرسول صَلَّى الله عليه وسلم، ليس يعني إغراء المسلمين بالمغامرة والجهاد دون استعداد ولا تأهب، وإنما هو لإيضاح أن على المسلم أن يعلم أن في مقدمة أسباب النصر المختلفة، صدق الالتجاء إلى الله وإخلاص العبودية له، فلن تجدي وسائل القوة كلها إذا لم تتوفر هذه الوسيلة بعينها. وإذا تحققت في أعمال المسلمين هذه الوسيلة فحدثت عن معجزات النصر ولا حرج.

غزوة مؤتة:

اسم الغزوة:	تاريخها:	الطرف الأول:	الطرف الثاني:	مكان الغزوة:	سبب الغزوة:	النتيجة:
غزوة مؤتة.	جماد الأولى من السنة الثامنة للهجرة .	المسلمين بقيادة : ١- زيد بن الحارثة . ٢- ثم جعفر بن أبي طالب . ٣- ثم عبد الله بن رواحة . ٤- ثم خالد بن الوليد . عدددهم : ٣٠٠٠ من المهاجرين والأنصار .	*الروم بقيادة : هرقل عدددهم مائة ألف مقاتل *نصارى العرب : عدددهم مائة ألف مقاتل ايضا .	مؤتة وهي قرية جنوب الكرك في الأردن .	سبب الغزوة كان للقصاص ممن قتل الحارث بن عمير الذي ارسله الرسول صلى الله عليه وسلم الى امير (بصرى) يدعوه الى الإسلام .	١- استشهاد ثلاثه من قادة المسلمين (زيد بن الحارثة - وجعفر بن أبي طالب - وعبد الله بن رواحة) . ٢- انتصار المسلمين بقيادة خالد بن الوليد . ٣- انسحاب الروم وفرارهم رهبة من المسلمين .

العبر والعظات:

١ - تكاد تكون كل غزوة من الغزوات تمثل مرحلة من مراحل الدعوة، فإذا كانت غزوة خيبر قد أنهت الوجود اليهودي في جزيرة العرب، فغزوة مؤتة مثلت أول معركة ضد النصرانية في جزيرة العرب، وكانت هاتان الجبهتان قد فتحتا بعد هدنة الحديبية، ولم يكن رسول الله ﷺ حريصاً على فتح هذه الجبهة لولا الاعتداء الآثم على رسوله إلى الشام.

(وكان سببها أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى هرقل عظيم الروم بالشام، أي فلما زل مؤتة تعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، من أمراء قيصر على الشام. فقال: أين تريد؟ لعلك من رسل محمد؟ قال: نعم. فأوثقه رباطاً ثم قدمه فضرب عنقه. ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره. فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك اشتد الأمر عليه، فجهز جمعاً من أصحابه وعدتهم ثلاثة آلاف وبعثهم إلى مقاتلة ملك الروم).

وكما أن بيعة الرضوان التي تعاهد المسلمون فيها على الموت كانت قد تمت ثأراً لعثمان بن عفان رضي الله عنه حين أشيع نبأ مقتله، كذلك كانت غزوة مؤتة ثأراً لرسول رسول الله ﷺ. وفي رواية ثانية: أن صاحب بصرى رفض الإسلام وقال: من ينزع ملكي مني؟ أنا سائر إليه. فتهديده بالمسير إلى المسلمين يقتضي رداً على مستوى التحدي، فكانت غزوة مؤتة. إن دم الجندي المسلم مصون، وإن الجماعة المسلمة على استعداد لخوض معركة دامية من أجله، بحيث لا يظل دمه ولا يذهب هدرًا.

٢ - وثلاثة آلاف مقاتل، هو أكبر جيش تمكن رسول الله ﷺ من إعداده لمواجهة عدوه، وهو ضعف جيش الحديبية، وتحديد قيادات الجيش إشارة واضحة إلى عنف الحرب بين الفريقين.. ومع ذلك فلا يكاد يذكر أمام الجيش الذي وجهه حيث كان عدده في أقل الروايات مائة وخمسون ألفاً، وترفعه الروايات الأخرى إلى مئتي ألف أي أنه يزيد قرابة سبعين ضعفاً عن جيش المسلمين.

٣ - وموقف المسلمين في تشاورهم حول مواجهة الروم أو التريث في ذلك قد حسم الموقف فيها أحد الأمراء الثلاثة الذي قال: (والله إن التي تكروهون للتي خرجتم تطلبون) ولم يحدث انقسام في الموقف وهذا من أعجب ما شهد التاريخ، أن يستجيب الجيش كله لداعي الجهاد ويقرر المواجهة رغم الفرق الهائل الضخم بين الجيشين، إن الشهادة في سبيل الله التي يحلم بها المؤمنون هي أقوى سلاح يملكونه في الأرض.

ويسقط القائد جعفر رضي الله عنه وفي جسده تسعون جرحاً ما بين طعنة ورمية، وأن يفقد يديه ليعوضه الله تعالى عنهما جناحين يطير بهما في الجنة، ويكون أول من حاز على لقب - طيار - في التاريخ الإسلامي كله وتفرد به دون الناس أجمعين.

٤ - ومن عادة كل جيش أن ينتهي مع مقتل قائده، وهؤلاء القادة الثلاثة يسقطون شهداء في أرض المعركة، ومع ذلك فيثبت الجيش ويتمالك ويسلم قيادته إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه ليقود المعرك.

ولئن مضى جعفر رضي الله عنه بلقب الطيار في مؤتة، فقد مضى خالد بلقب سيف الله في مؤتة كذلك.

٥ - ((جعل الله الفتح على يديه)) هذا النص من حديث البخاري والنصوص الأخرى ذات السند الصحيح، تؤكد أن مؤتة قد انتهت بفتح وانتصار هذه القلة الفدائية المستضعفة على العدو اللجج الضخم الذي تحرك بمئتي ألف ليند الإسلام وأهله، وذلك بفضل الله ثم بحكمة خالد وعبقريته يوم غير مواقع الجيش كله، وبنباته وصموده يوم كسرت في يده تسعة أسياف ولم تثبت إلا صحيفة يمانية. وثبات أغلب الجيش معه حتى اللحظة الأخيرة التي أذن الله تعالى فيها بنصر جنده.

فتح مكة

اسم الغزوة	تاريخها	الطرف الأول	الطرف الثاني	مكان الغزوة	سبب الغزوة	النتيجة
فتح مكة	السنة الثامنة من الهجرة	المسلمون عدددهم: عشرة آلاف	كفار قريش وأهل مكة	مكة	عندما نقضت قريش وحلفاؤها عهد الحديبية فأراد بنو بكر (حلفاء قريش) أن يأخذوا بثأرهم القديم من بني خزاعة (حلفاء المسلمين) وحرصوا قريش للقتال معهم وأمدوهم بالمال والسلاح وغاروا عليهم فجأة فأوقعوا فيهم الخسائر في الأموال والأرواح فاخبروا الرسول ﷺ بما حصل لهم ونقض قريش للعهد فعزم على فتح مكة.	انتصار المسلمين وتمكنهم من دخول الحرم. تطهير البيت من الحرام والأصنام والصور.

العبر والعظات:

إن أحداث هذا الفتح العظيم تنطوي على دلالات وأحكام كثيرة مختلفة، يجب تبصرها والوقوف عليها. وسنذكر ما تيسر ذكره من ذلك حسب ترتيب الأحداث نفسها.

أولاً- ما يتعلق بالهدنة ونقضها:

١- يدلنا سبب فتح مكة، على أن أهل العهد والهدنة مع المسلمين، إذا حاربوا من هم في ذمة المسلمين وجواره، صاروا حرباً لهم بذلك. ولم يبق بينهم وبين المسلمين من عهد. وهذا ما اتفق عليه علماء المسلمين.

٢- تدلنا الطريقة التي قصد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، على أنه يجوز لإمام المسلمين ورئيسهم أن يفاجئ العدو بالإغارة والحرب لدى خيانتته العهد ونبذته له، ولا يجب عليه أن يعلمهم بذلك.

ثانيا- حاطب بن أبي بلتعة وما يتعلق بعمله:

٣- إننا نجد أنفسنا أمام مظهر جديد آخر لنبوته صَلَّى اللهُ عليه وسلم، وما كان يُؤيّد به من الوحي من قبل ربه جلّ جلاله. لقد قال لبعض أصحابه: «اذهبوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها»، فمن الذي أخبره بأمر هذا الكتاب وأطلعه على ما دار بين الظعينة وحاطب بن أبي بلتعة في شأنه؟ إنه الوحي.. وإذن فهي النبوة، وهي التأييد من الله تعالى لنبيه حتى يتم المخطط الإلهي للفتح العظيم الذي أكرم الله به نبيه والمسلمين.

ثالثا- أمر أبي سفيان وموقف رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم منه:

والعجيب في أمر أبي سفيان يوم الفتح، أن يكون هو أول وطلبة المحذرين لقومه من قتال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم، وأن يكون في مقدمة الداخلين في دين الله أفواجا يومئذ، وهو الذي لم تخرج غزوة من مكة لحرب رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم، إلا بإشرافه وتوجيهه وتهيبه! .. ولعل الحكمة الإلهية شاءت أن تفتح مكة بدون قتال يذكر، وأن يدين أهلها لرسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم- وهم الذين أخرجوه وأذوه وقتلوه- بدون أيّ جهد أو مغامرة من المسلمين، فتهيأت أسباب إسلام أبي سفيان قبل غيره، وذلك في اللقاء الذي تمّ بينه وبين رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم، عند (مرّ الظهران) ، كي يعود إلى قومه في مكة، فينتزع من رؤوسهم فكرة الحرب والقتال، ويهيئ جو مكة لسلم يكون مآله دفن حياة الجاهلية والشرك وبزوغ شمس التوحيد والإسلام.

ولقد كان من مظاهر التمهيد لهذا الأمر ما أمر به الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلم من إعلان: أن من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، وذلك بعد أن أعلن إسلامه، إلى جانب ما في ذلك من تألف قلبه على الإسلام وتثبيتته عليه. وأنت خبير أن الإسلام إنما هو الاستسلام لأركانه العملية والاعتقادية، ولا بد للمسلم بعد ذلك من رسوخ الإيمان في قلبه، وإنما يكون ذلك بمداومته على التمسك بمبادئ الإسلام وأركانه، ومن أهم ما يحفز على المداومة والاستمرار، تألف المسلمين لقلبه بمختلف الوسائل والأسباب المشروعة، ريثما تستقر جذور الإيمان في قلبه ويغدو إسلامه قويا صلدا لا تهزه أو تزعه الأعاصير.

رابعا- تأملات في كيفية دخوله صَلَّى اللهُ عليه وسلم إلى مكة:

١- فيما يرويه البخاري عن عبد الله بن المغفل أنه صَلَّى اللهُ عليه وسلم كان وهو على مشارف مكة يقرأ سورة الفتح، يرجع في تلاوته لها، والترجيع كيفية معينة في القراءة يترنم بها القارئ.

٢- كذلك كان من التدبير الحكيم لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما أمر به أصحابه من أن يتفرقوا في مداخل مكة، فلا يدخلوها من طريق ومدخل واحد، وذلك بغية تفويت فرصة القتال على أهل مكة إن أرادوا ذلك إذ يضطرون إلى تشتيت جماعاتهم وتبديد قواهم في جهات مكة وأطرافها فتضعف لديهم أسباب المقاومة ومغرياتها.

وإنما فعل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك، حقنا للدماء ما أمكن، وحفظا لمعنى السلامة والأمن في البلد الحرام، ومن أجل هذا أمر المسلمين أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، وأعلن أن من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن.

خامسا- ما اختص به الحرم المكي من الأحكام:

١- حرمة القتال فيه:

نجد أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى أصحابه عن قتال أحد، إلا أن يبدأ أناس المسلمين بالقتال، وإلا ستة أنفار أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتلهم أينما وجدوا.

٢- تحريم صيده:

وهذا ثابت بالإجماع لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث المتفق عليه: «لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده» .

٣- تحريم قطع شيء من نباته:

ودليله قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث السابق: «لا يعضد شوكه» وضابط ذلك قطع كل نبات أنبته الله تعالى دون أن يغرسه أحد من الناس مادام رطبا.

٤- وجوب دخوله محرما:

فمن قصد مكة- أو قصد شيئا من حرمه كما قال النووي- وكان ممن لا يتكرر دخوله كالتجار والحطابين ومن تجبرهم مهنتهم على استمرار الدخول إلى الحرم والخروج منه، فإن عليه أن لا يدخل إلا محرما بحج أو عمرة. وهناك خلاف على هذه المسألة بين الأئمة، تفصيله في كتب الفقه.

٥- حرمة تمكين غير المسلمين من الإقامة فيه.

سادسا- تأملات فيما قام به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أعمال عند الكعبة المشرفة:

١- الصلاة داخل الكعبة.

٢- حكم التصوير واتخاذ الصور: وفي حديث البخاري نفسه أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يدخل الكعبة حتى أخرج كل ما فيها من صور وأصنام، وقد روى أبو داود عن جابر رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر عمر بن الخطاب، وهو بالبطحاء، أن يأتي الكعبة فيمحو كل صورة فيها، فلم يدخلها حتى محيت الصور، وقد روى البخاري في كتاب الحج عن أسامة أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل الكعبة فرأى صورة إبراهيم، فدعا بماء فجعل يمحوها. وهذه الأحاديث، في مجموعها، تدل على أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بالرسوم المخطوطة على الجدران فمحيت، كما أمر بالصورة المجسمة القائمة في جوفها فأخرجت، ويبدو أنه حينما دخل بعد ذلك وجد آثارا لتلك الرسوم على بعض جدرانها فدعا بماء وجعل يبالغ في حتها ومحوها.

وهذا يدل بوضوح على حكم الإسلام في حق التصوير والصور المجسمة وغير المجسمة.

٣- حجابة البيت: وبناء على ما ذكرناه من أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعاد مفتاح البيت إلى عثمان بن طلحة وقال له: «خذوها خالدة مخلدة- يقصد بني عبد الدار وبني شيبه- لا ينزعها منكم إلا ظالم»، فقد ذهب عامة العلماء إلى أنه لا يجوز لأحد أن ينتزع حجابة البيت وسدائنه منهم إلى يوم القيامة.

٤- تكسير الأصنام: وإنه لمظهر رائع لنصر الله وعظيم تأييده لرسوله، إذ كان يطعن تلك الآلهة الزائفة المنتورة حول الكعبة بعضا معه، وهو يقول: «جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد». .

سابعا- تأملات في خطابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الفتح:

استفتح ﷺ خطابه بقوله:

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده». ثم عليه بعد ذلك أن يعلن أمام قريش وغيرهم من سائر الناس، عن المجتمع الجديد وشعاره وهو الشعار الذي يتجلى في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ [الحجرات ٤٩ / ١٣] وإذن فلتدفن تحت أقدام المسلمين بقايا تلك المآثر الجاهلية العتيقة العفنة، من التفاخر بالآباء والأجداد، والتباهي بالقومية والقبلية والعصبيات، والاعتداد بفوارق الشكل واللغة والأنساب، فالناس كلهم لآدم، وآدم من تراب.

ثامنا: بيعة النساء وما يتعلق بها من أحكام:

نأخذ منها ما يلي:

أولاً: اشتراك المرأة مع الرجل - على أساس من المساواة التامة - في جميع المسؤوليات التي ينبغي أن ينهض بها المسلم. ولذلك كان على الخليفة أو الحاكم المسلم أن يأخذ عليهن العهد بالعمل على إقامة المجتمع الإسلامي بكل الوسائل المشروعة الممكنة، كما يأخذ العهد في ذلك على الرجال.

ثانياً: كيفية بيعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للنساء: أن مبايعتهن إنما كانت بالكلام فقط من غير أخذ الكف، وذلك على خلاف بيعة الرجال، فدل ذلك على أنه لا يجوز ملامسة الرجل بشرة امرأة أجنبية عنه، ولا أعلم خلافاً في ذلك عند علماء المسلمين، اللهم إلا أن تدعو إلى ذلك ضرورة كتطبيب وفصد وقلع ضرس ونحو ذلك.

غزوة تبوك:

اسم الغزوة:	تاريخها	الطرف الأول:	الطرف الثاني:	مكان الغزوة:	سبب الغزوة:	النتيجة:
تبوك .	شهر رجب في العام ٩ هـ	المسلمين بقيادة: الرسول صلى الله عليه وسلم.	الروم وكان جيشا كبيرا .	تبوك لكنه لم يحصل التقاء ما بين الطرفين لأن الروم خافوا ورجعوا من حيث أتوا حينما علموا بمسير الجيش المسلم الذي يؤثر الموت على الحياه .	١- بعد فتح مكة ودخول الحجاز كلها في الإسلام خشي العرب النصارى التابعون للروم من المسلمين في بلاد الشام من قوة الإسلام . فقرروا غزو المسلمين ، وجهزوا جيشا كبيرا عسكروا جنوب بلاد الشام .	١- قضى المسلمون عشرين يوما في تبوك ولكن لم يجدوا هناك احد من الروم الذين رجعوا من حيث أتوا خوفا من جيش المسلمين .
						٢- انتصار المسلمين بفرار عدوهم .
						٣- قرر المسلمون العودة الى المدينة
						٢- وصلت الرسول صلى الله عليه وشاكرين
						وسلم فدعا الى تجهيز

جيش قوي يصد غزو الروم .						
-------------------------------	--	--	--	--	--	--

العبر والعظات:

أولاً: كان سبب هذه الغزوة أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام، وانضم إلى هرقل من القبائل العربية، لحم، وجدام، وغسان، وعاملة، ثم قدموا طلائعهم إلى البلقاء - كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ندب الناس للخروج إلى تبوك، ودعاهم إلى التأهب والاستعداد، ودعا الأغنياء إلى البذل والإنفاق.

وفي انضمام بعض القبائل العربية إلى الروم ضد المسلمين، دليل على أنهم كانوا بعيدين عن فهم الإسلام ورسالته التحريية للناس عامة وللعب خاصة، ولو كانوا يعلمون ذلك لأبوا أن يكونوا أعواناً للروم على أبناء قومهم من العرب المسلمين.

ثانياً: لقد كانت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم للتأهب في وقت عسر وحر وموسم لجني الثمار، فأما المؤمنون الصادقون، فقد سارعوا إلى تلبيةهم للرسول غير عابئين بمشقة ولا حرمان، وأما المنافقون، فقد تخلفوا، وأخذوا يعتذرون بشتى الأعذار، وهكذا يتبين المخلصون من المنافقين في أيام الشدائد، وينكشف أمر الأعداء في أيام المحن، وقد قال الله تعالى: {لَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: ١-٣].

ثالثاً: إن في مسارعة الموسرين من الصحابة إلى البذل والإنفاق، كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وغيرهم، دليلاً على ما يفعله الإيمان في نفوس المؤمنين من مسارعة إلى فعل الخير ومقاومة لأهواء النفس وغرائزها، مما تحتاج إليه كل أمة، وكل دعوة، لضمان النصر على أعدائها، وتأمين الموارد اللازمة لها، وهذا ما نجد أمتنا اليوم أشد الحاجة إليه، فالأعداء كثر، والأعباء ثقيلة، والمعركة رهيبية، والعدو قوي ماكر، فلا

نستطيع التغلب عليه إلا بمزيد من التضحيات في الأموال والأنفس والأهواء والشهوات، ولا يحقق ذلك إلا الدين الصحيح المفهوم على حقيقته الذي يربي النفوس على احتساب الإنفاق والتعب في سبيل الأمة جهاداً يثيب الله عليه كما يثيب المجاهدين في ميادين النضال.

رابعاً: وفي قصة الذين جاؤوا الى رسول الله يطلبون أن يأخذهم معه إلى الجهاد، فردهم لأنه لم يجد ما يحملهم عليه. فولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً على حرمانهم من شرف الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. في هذه القصة التي حكاها الله في كتابه أروع الأمثلة على صنع الإيمان للمعجزات، فطبيعة الإنسان أن يفرح لنجاته من الأخطار، وابتعاده عن الحروب، ولكن هؤلاء المؤمنين الصادقين بكوا من أجل ذلك، إذ اعتبروا أنفسهم قد فاتهم حظ كبير من ثواب الله والتعرض للشهادة في سبيله، فأبي مبدأ يعمل في النفوس كما فعل الإيمان في نفوس هؤلاء؟ وأي خسارة تلحق بالأمة حين تخلو من أمثال هؤلاء؟!؟

خامساً: وفي قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن الجهاد إيثاراً للراحة على التعب، والظل على الحر، والإقامة على السفر، مع أنهم مؤمنون صادقون، درس اجتماعي من أعظم الدروس، فقد استيقظ الإيمان في نفوسهم بعد قليل، فعلموا أنهم ارتكبوا بتخلفهم عن رسول الله والمؤمنون إثماً كبيراً، ومع هذا فلم يفهم ذلك من العقوبة، وكانت عقوبتهم قاسية رادعة، فقد عزلوا عن المجتمع عزلاً تاماً، ونهي الناس - حتى زوجاتهم - عن كلامهم والتحدث إليهم، ولما علم الله منهم صدق التوبة، وبلغ منهم الندم والألم والحسرة مداه، تاب الله عليهم، فلما بشروا بذلك كانت فرحتهم لا تقدر، حتى انسلخ بعضهم عن ماله وثيابه شكراً لله على نعمة الرضى والغفران.

إن مثل هذه الدروس تمنع المؤمن الصادق في إيمانه عن أن يتخلف عن عمل يقتضيه الواجب أو يرضى لنفسه بالراحة والناس يتعبون، والنعيم والناس يبتسون، وتلك هي طبيعة الإيمان: أن تشعر دائماً وأبداً أنك فرد من جماعة، وجزء من كل، وأن ما يصيب الجماعة يصيبك، وما يفيدها يفيدك، وأن النعيم لا معنى له مع شقاء الأمة وبؤسها، والراحة لا لذة لها مع تعب الناس وعنائهم، وأن التخلف عن الواجب نقص في الإيمان، وخلل في الدين، وإثم لا بد فيه من التوبة والإنابة.

كما تعطينا القصة درساً بأن العقيدة فوق القرابة، وأن تنفيذ النظام المشروع مقدم على طاعة الهوى والعاطفة، وأن القرابة لا تغني شيئاً إزاء غضب الله ومقته {فَلْيُحَذِّرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: ٦٣].

حجة الوداع:

كانت حجة الوداع هي الحجة الوحيدة التي أداها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد البعثة، ولما تسامع الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحج في تلك السنة، توافدوا إلى الحج من مختلف أنحاء الجزيرة العربية حتى بلغوا - كما قال بعض المؤرخين - مائة وأربعة عشر ألفاً، ونحسب أن هذا العدد تقديري، وإلا فكيف أمكن إحصاؤهم وتحديد عددهم بهذا القدر؟

وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبته الشهيرة التي يجب أن يحفظها كل طالب علم، لما تضمنته من إعلان المبادئ العامة للإسلام، وهي آخر خطبه صلى الله عليه وسلم، وقد جاء فيها:

"أيها الناس، اسمعوا قولي، لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً" - وهذا من معجزات رسوله صلى الله عليه وسلم - أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، وحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، قضى الله أنه لا ربا، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله، وإن كل دم في الجاهلية موضوع، وإن أول دماءكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب - وكان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل - فهو أول ما أبداً به من دماء الجاهلية.

أما بعد أيها الناس، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروا على دينكم.

أيها الناس إن النسيء زيادة في الكفر، يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً، ويحرمونه عاماً، ليواطئوا عدة ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله، ويحرموا ما أحل الله، وإن الزمان قد استدار كهيأته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم: ثلاثة متوالية، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان.

أما بعد أيها الناس فإن لكم على نسائكم حقاً، ولهن عليكم حقاً، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله.

فاعقلوا أيها الناس قولي، فإنني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به، فلن تضلوا أبداً، أمراً بيناً، كتاب الله وسنة نبيه، أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يجل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت؟".

العبر والعظات:

إن أول ما يلفت النظر في حجة الوداع هذا الجمهور الضخم الذين حضروا مع الرسول صلى الله عليه وسلم من مختلف أنحاء الجزيرة العربية، مؤمنين به، مصدقين برسالته، مطيعين لأمره، وقد كانوا جميعاً قبل ثلاثة وعشرين سنة فحسب على الوثنية والشرك، ينكرون مبادئ رسالته، ويعجبون من دعوته إلى التوحيد، وينفرون من تنديده بأبائهم الوثنيين، وتسفيهه لأحلامهم، بل كان كثير منهم قد ناصبوه العداء، وتربصوا به الشر، وبيتوا على قتله، وألبوا عليه الجموع، وجالدوه بالسيوف والرماح، فكيف تم هذا الانقلاب العجيب في مثل هذه المدة القصيرة، وكيف استطاع صلى الله عليه وسلم أن يحول هذه الجموع من وثنياتها وجاهليتها وترديها وتفرقتها إلى توحيد الله وعلم ذاته وصفاته، واجتماع الكلمة، ووحدة الهدف والغاية؟ وكيف كسب حب هذه القلوب بعد عداوتها، وهي المعروفة بشدة الشكيمة وعنف الخصام؟ ألا إن إنساناً مهما بلغت عبقريته، ودهاؤه، وقوة شخصيته ليستحيل أن يصل إلى هذا في مئات السنين، وما سمعنا بهذا في الأولين والآخرين، إن هو إلا صدق الرسالة، وتأيد السماء، ونصرة الله، ومعجزة الدين الشامل الكامل الذي أتم الله به نعمته على عباده، وختم به رسالاته للناس، وأراد أن ينهي به شقاء أمة كانت تائهة في دروب الحياة، مستذلة للأهواء العصبية، وأن يدها على طريق الهداية، ويفتح أعينها لأشعة الشمس، ويقلدها قيادة الأمم، ويحوّل بها مجرى التاريخ، ويمحو بها مهانة الإنسان، ويورثها الحكمة والكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب.

وثاني ما يلفت النظر في حجة الوداع هذا الخطاب القوي الحكيم الذي خاطب به رسول الله الناس أجمعين، وتلك المبادئ التي أعلنها بعد إتمام رسالته ونجاح قيادته، مؤكدة للمبادئ التي أعلنها في أول دعوته، يوم كان وحيداً مضطهداً، ويوم كان قليلاً مستضعفاً، مبادئ ثابتة لم تتغير في القلة والكثرة، والحرب والسلام، والهزيمة والنصر، وإعراض الدنيا وإقبالها، وقوة الأعداء وضعفهم، بينما عرفنا في زعماء الدنيا تقلباً في العقيدة والمبدأ، وتبايناً في الضعف والقوة، وتغيراً في الوسائل والأهداف، يظهرون خلاف ما يبتغون، وينادون بغير ما يعتقدون، ويلبسون في الضعف لبوس الرهبان، وفي القوة جلود الذئاب، وما ذلك إلا لأن هؤلاء رسل المصلحة، وأولئك رسل الله وشتان بين من يحوم فوق الجيف، وبين من يسبح في بحار النور، شتان بين الذين يعملون لأنفسهم، وبين الذين يعملون لإنسانيتهم، شتان بين أولياء

الشیطان وأولیاء الرحمن { اللهُ وَیُؤْتِ الدِّینَ آمَنُوا یُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِینَ كَفَرُوا أُولِیَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ یُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [البقرة: ٢٥٧].

وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن كان قد علم من طريق الوحي بقرب أجله، فودع الناس في حجة الوداع، وكانت قلوب الصحابة واجفة هلعة خشية أن يكون أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقترب، ولكن أجل الله إذا جاء لا يؤخر، فلما أشيع عن وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم اضطرب الصحابة جميعاً لهول الكارثة، وزلزلت المدينة زلزالها، وطاشت عقول كثير من كبار الصحابة والسابقين إلى الإسلام، فمنهم من عقل لسانه، ومنهم من أقعد عن الحركة، ومنهم وهو عمر من شهر سيفه ينهى الناس أن يقولوا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات، ويزعم أنه غاب، وسيرجع إليهم، ولكن أبا بكر وحده هو الذي كان ثابت الجأش، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى على فراشه، فقبله وقال له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما أطيبك حياً وميتاً! أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها، ثم لن تصيبك بعدها مودة أبداً، يا رسول الله اذكرنا عند ربك.

ثم خرج أبو بكر إلى الناس، فخطب فيهم وقال: أيها الناس! من كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت، ثم تلا قوله تعالى: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ } [آل عمران: ١٤٤]. فلما تلاها أبو بكر أفاقوا من هول الصدمة، وكأنهم لم يسمعوها من قبل، قال أبو هريرة: قال عمر: فوالله ما هو إلا أن سمعت أن أبا بكر تلاها فعقرت - أي دهشت وتحيرت - حتى وقعت إلى الأرض وما تحملني رجلاي، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات.

وهنا درسان بالغان:

أولهما: أن الصحابة دهشوا لموت رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى لكأن الموت لا يمكن أن يأتيه، مع أن الموت نهاية كل حي، وما ذلك إلا لحبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم حباً امتزج بدمائهم وأعصابهم، والصدمة بفقد الأحباب تكون على قدر الحب، ونحن نرى من يفقد ولداً أو أباً كيف يظل أياماً لا يصدق أنه فقده، وأي حب في الدنيا يبلغ حب هؤلاء الصحابة الأبرار لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد هداهم الله به، وأنقذهم من الظلمات إلى النور، وغير حياتهم، وفتح عقولهم وأبصارهم، وسما بهم إلى مراتب القادة العظماء، ثم هو في حياته مربيهم وقاضيهم ومرشدهم يلجؤون إليه في النكبات،

ويسترشدونه في الحوادث، ويأخذون منه خطاب الله لهم وحديثه إليهم وتعليمه لهم، فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم انقطع ذلك كله، فأني صدمة أبلغ من هذه الصدمة وأشدّها أثراً.

ثانيهما: أن موقف أبي بكر دل على أنه يتمتع برباطة جأش وقوة أعصاب عند النكبات لا يتمتع بها صحابي آخر. وهذا ما جعله أولى الناس بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أثبت ذلك في حركة الردة في جزيرة العرب.

(انتهى المقرر)

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم...